

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف و الترجمة، بنارس

ربيع الآخر-جمادى الأولى ١٤٣٤ھ	المجلد (٤٥)
مارس – ابريل ٢٠١٣ م	العدد الثالث والرابع

رئيس التحرير	المشرف العام
أسعد أعظمي بن محمد أنصاري	عبد اللّٰه سعود بن عبد الوحيد

☆ عنوان المراسلة:	صـوت الأمـة: بی ١ / ١٨ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ تـرسـل شيـكات الاشتراک بهذا الاسم:	دار التاليف والترجمة Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA** Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI A/c No.: **21044906358** IFSC Code: ALLA0210547
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـنـد (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org

المنشـور لا يعبـر إلا عـن رأي كاتبـه

محتويات العدد

العنوان	الصفحة

الافتتاحية

المؤتمر العالمي
عن السنة النبوية والسلام العالمي

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

الأمن، السلام، الاستقرار، الطمانينة .. كلها كلمات هي ومدلولاتها محببة إلى النفوس ومرضية للقلوب. وضدها الخوف، الرعب، الروع، القتال، الحرب .. كلمات هي ومدلولاتها تنفر عنها الطبائع وتأباها، وترفضها ولا ترضاها.

وحالة الأمن والاستقرار هي الأصل في المجتمع الإنساني، وحالة الخوف والفساد تكون طارئة عليها يعتبرها المجتمع خروجا عن النظام العام، وينتظر بفارغ الصبر ليعود الوضع إلى السلام والاستقرار، وينعم بالهدوء والطمانينة. ورغم كثرة الحروب والفتن التي يموج بها تاريخ بني آدم لا زالت النفوس تشمئزها وتكرهها، وإن كان هناك من يتاجر بها ويألفها – في كل عصر حتى عصرنا هذا – لمرض في القلب يبطنه، وداء في النفس يخفيه، يحسبه كذلك، ولكن الله علام الغيوب وكاشف الأسرار يفضحه ويكشف سره مرة بعد مرة {إن الله مخرج ما تحذرون}.

والعالم المعاصر، الذي يقال عنه إنه عالم متحضر، ذو ثقافة وحضارة، لا يعرف حقوق الإنسان فحسب ويعتني بها، بل يعرف حقوق الحيوانات وحقوق النباتات والجمادات أيضا، ويعتني بها أيما اعتناء، وهو لا يهتم بحقوق الإنسان إجمالا بل يعتني بها تفصيلا أيضا. فيتفاخر بأنه راعي حقوق النساء، وحقوق الأطفال، وحقوق المسنين، وحقوق الأمهات، وحقوق المصابين بالمرض الفلاني والمرض الفلاني .. الخ.

مع كل هذا وذاك، يشهد هذا العالم المعاصر – وللأسف – حروبا طاحنة تأكل الأخضر واليابس، وتهلك الحرث والنسل، وتبيد الإنسان والحيوان، وتخلف وراءها

الأرامل والأيتام، والجرحى والمعوقين، والدمار والخراب. ثم يصرخ بملء فمه ويتبجح بأنه حامي حمى الإنسان وراعي الأمن والسلام، وأن الذين يقضي عليهم ويبيدهم هم أعداء الإنسانية ومنابع الفتنة والفساد:

نسمى الظالمين وما ظلمنا

ولكنـا نبيد الظالمينـا

وليته وقف عند هذا الحد، لكنه يعمد – في جرأة بالغة – إلى دين الرحمة ونبي الرحمة وكتاب الرحمة فيرميه بأنه هو مصدر الإرهاب والتطرف، ومنبع العنف والشدة، يحمل أتباعه على سفك الدماء، وقتل الأبرياء، وإهلاك الحرث والنسل، وإشعال الحروب والفتن، على حد قولهم:

رمتني بدائها وانسلت

هذا هو الواقع بكل إيجاز وبكل صراحة. يقر به المنصفون، وينطق به الناطقون، لكنهم شرذمة قليلون. أما الكثرة الكاثرة فإنها تؤمن بما تسمعه ليل نهار، ولا تكلف نفسها للبحث والتنقيب، وتمييز الحق من الباطل، وقد تكون هناك أغراض أو مطامع تحول دون التحقيق أو الاعتراف بالحق والصدق.

وكلنا على علم بالإساءات المتكررة إلى شخصية رسول الرحمة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بالوسائل والأساليب المختلفة الكثيرة، وخاصة في السنوات الأخيرة، وقد سهل الوصول إلى وسائل الإعلام والاتصال، للشيب والشباب، والأطفال والشيوخ، والنساء والرجال، والمثقفين والأميين، والموسرين والمعسرين، والموافقين والمخالفين. فأصبح زرع الشكوك والأوهام سهلا ميسورا أكثر من أي وقت مضى، وصار إفساد العقول والأذهان تجارة رابحة لفريق من أهل الأهواء والقلوب المريضة.

والله ليست هناك فرية عرفها التاريخ أكبر من نسبة دين العدل والسلام إلى الإرهاب والتطرف، ومن رمي نبي الرحمة والإنسانية بالعنف والشدة، واتهام كتاب الله بأنه مصدر الكراهية والعدوان.

كيف يحلو لأي كائن بشري أن يكذب على نفسه بنسبة العنف والإرهاب والتخويف إلى الدين الإلهي الذي يجعل من الإيمان والإسلام اسما له، ليوحي إلى ما عنده من العناية والاهتمام بجانب الأمن والسلام. فليس "الإيمان" إلا من "الأمن" وليس "الإسلام" إلا من "السلام". والسلام اسم من أسماء المعبود الحق، والسلام تحية من آمن وأسلم، بل تحية أهل الجنة إلى أبد الآباد.

والخالق جل وعلا يمتن على عباده بأنه {أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف}.

ويعدهم بالأمن وإزالة الخوف إن آمنوا وعملوا الصالحات .. {وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا}

ويَعُدّ الداخل في بيته آمنا .. {ومن دخله كان آمنا}.

ويذكر دعاء أحد أصفياءه بالأمن .. {رب اجعل هذا البلد آمنا}.

ويمن على أهل الحرم بالأمن .. {أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم}.

ويرغب عباده في الأمن بأن جعل مقرهم بعد الموت آمنا .. {وهم في الغرفات آمنون}.

إلى غير ذلك من الأنواع والأساليب التي ورد فيها ذكر الأمن والسلام في كتاب الله الخالد.

أما الرسول الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – الذي بعثه الله رحمة للعالمين، فكان الأمن والسلام والرحمة والرأفة شغله الشاغل وهمه الغالب، اهتم به قولا وعملا وخلقا. وربى عليه أصحابه ورغب فيه أتباعه. إنه أحدث أعظم ثورة وأكبر تغيير في وجه التاريخ بأقل ما يمكن من الخسائر في الأرواح والممتلكات، بل أحدثه بهديه وشمائله وبخلقه وسماحته. بينما نرى الثورات والانقلابات المشهورة في التاريخ رهينة بحار الدماء وأشلاء الأبرياء وأكوام الضحايا.

إن هذا الرسول الكريم هو – حقا – "الرحمة المهداة"، كما وصف نفسه بذلك. ولم تكن رحمته مختصة ببعض دون بعض، بمن آمن به دون من لم يؤمن به، إنه رحمة للمؤمن والكافر والإنس والجن، والحيوان والنبات:

يصفه القرآن بأنه "عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم".

وقد قيل له مرة يا رسول الله: ادع على المشركين، قال: "إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة".

وهو الذي يقول: "والشاة إن رحمتها رحمك الله".

وهو الذي يعلّم: "في كل ذات كبد رطبة أجر".

وهو الذي قال: "من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة".

وما أكثر المواقف في حياته، التي تبين بوضوح أنه كان رحمة للعالمين، ولسنا بصدد إحصائها هنا.

وللراغبين في الاطلاع على عظم مكانة الأمن والسلام في قلب نبي الرحمة أن ينظر في أحد أدعيته، الذي كان يكرره في مطلع كل شهر عند رؤية هلاله، وهذا الدعاء هو الذي يكرره كل مسلم في مطلع كل شهر اتباعا وامتثالا لهدي الرسول عليه الصلاة والسلام:

"اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله".

هكذا بكل وضوح .. وبكل صراحة:

بالأمن ... والإيمان

وبالسلامة ... والإسلام

ولكن ... ثم لكن ....

هل قمنا – نحن المسلمين – بواجب التعريف بهذا النبي وسيرته وشخصيته إلى المسلمين وغير المسلمين؟ أم اكتفينا بإقامة الموالد والأعياد باسمه وشخصيته وبمولده ووفاته، وإطلاق النعرات وقيادة المسيرات بمناسبة ولادته وبعثته؟

إن أعظم تقصير في هذا الباب هو – بلا شك – منا نحن المسلمين عامة والدعاة والمثقفين خاصة، إننا وللأسف لا نقدر مدى خطورة خلو الساحة من العرض الحكيم للوجه الحقيقي لديننا ولنبينا ولقرآننا أمام البشرية التائهة والإنسانية المتعطشة. إن الكنز الثمين الذي نحن نملكه بصورة دين الإسلام ونبي الرحمة والإنسانية أمانة في أعناقنا، إن هذا الدين ما جاء ليكون حكرا علينا نحن المسلمين بحيث نحجبه ونحول دون وصول غيرنا إليه. إننا – أمة الإسلام – كنا أخرجنا للناس، لا لذواتنا وأنفسنا فحسب، {كنتم خير أمة أخرجت للناس} والنبي الخاتم لم يكن قد بعث فينا خاصة، {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا} والكتاب الذي جاء به ليس هدى للمتقين فحسب، وإنما هو {هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان} ولكننا حجرنا الواسع، وخصصنا العام، ونصبنا أنفسنا حجرة عثرة أمام هذا الدين وهذا النبي وهذا القرآن.

نحن لا ننكر أن المسيئين إلى الرسول الكريم – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم – والمستهزئين بالدين منهم من يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ويعترفون بأيادي هذا الدين وهذا الرسول على البشرية في أنفسهم، ولكن العصبية المقيتة والتعصب الأعمى تحملهم على محاولة حجب نور الشمس عن أعين البشر. ولكن ذلك لا يعفينا عن واجبنا نحو الدين والرسول ونحو الإبلاغ والدعوة، خاصة ونحن نعلم أن "الإنسان عدو لما جهل" وأن هناك الكثير والكثير من أفراد أمة الدعوة في جهل تام عن حقيقة هذا الدين ومحاسنه وتاريخه. يظهر ذلك جليا حينما نجد عددا منهم لا ينقضي عجبهم ولا تنقطع حيرتهم حينما يطلعون – فجأة – على بعض مآثر ومعطيات هذا الدين وهذا القرآن وهذا الرسول، فيندهشون ويندمون على جهلهم بها وغفلتهم عنها، ويسارعون إلى الدخول في حظيرة هذا الدين ويصبحون جنودا مدافعين عنه بعد ما كانوا أعداء محاربين له. والأمثلة على هذا كثيرة لا تخفى على المعتنين والمهتمين بالموضوع.

إن المؤتمر الذي تعقده الجامعة السلفية حول موضوع: "**السنة النبوية والسلام العالمي**" في: ٣ – ٤ / من جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ = ١٦ – ١٧ / من مارس ٢٠١٣م ما هو إلا جهد متواضع لإيجاد الوعي وشحذ الهمة وتشجيع العاملين في هذا الحقل، وجذب عناية الغافلين عنه إليه، وكذلك للبحث عن أحدث وأنفع السبل والوسائل والطرق لتحقيق هذا الهدف وأداء هذا الواجب.

فالشكر والدعاء، والتقدير والتحسين إلى جميع المساهمين في المؤتمر.

- إلى الذين شعروا بالواجب وعرضوا الموضوع للبحث والنقاش وعقد الاجتماع له.
- إلى الذين شاركوهم في شعورهم وساعدوهم في التخطيط والتنفيذ.
- إلى الذين لبوا الدعوة وشجعوا على الفكرة وباركوا الخطة.
- إلى الذين سهروا الليالي ورتبوا المعلومات وجاءوا بنتائج أفكارهم وعصارة أبحاثهم.
- إلى الذين قدموا لإلقاء انطباعاتهم وكلماتهم أو دروسهم ومحاضراتهم.
- إلى الذين عزموا على إنجاح المؤتمر وتحقيق الأهداف المرجوة منه بأي نوع من الجهد والعمل.

تقبل الله مساعيهم، وبارك في جهودهم، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وحتى لا تتعرض كل هذه الجهود للضياع والاندثار، ولا يكون مصير هذا الاجتماع كمصير كثير من الاجتماعات والمؤتمرات: مجيء وذهاب .. خطب ومقالات .. مقترحات وتوصيات .. ثم إلى الملفات والذكريات. فإننا بذلك نكون قد شهدنا على أنفسنا، والعياذ بالله. ليعزم الجميع أنه – بتوفيق الله وكرمه – سيشغل نفسه جنديا من جنود الأمن والسلام وداعيا من دعاة الاستقرار والأمان مستنيرا بهدي نبي الرحمة والمحبة والوئام، ومسترشدا بتعاليم دين الأمن والإيمان وتوجيهات رسالة السلامة والإسلام.

{وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ..}.

❖❖❖

الأمن والسلام

نعمة الأمن وأهميتها وسبل تحققها والحفاظ عليها

الشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني

إن الأمن والاستقرار نعمة عظيم نفعها، كريم مآلها، وهي مظلة يستظل بها الجميع من حر الفتن والتهارج، وهذه النعمة يتمتع بها الحاكم والمحكوم، والغني والفقير، والرجال والنساء، بل البهائم تطمئن مع الأمن، وتذعر وتعطل مع الخوف واضطراب الأوضاع، وتهارج الهمج الرعاع، فنعوذ بالله من الفتن التي تعمي الأبصار، وتصم الأسماع، وصدق الله عز وجل القائل: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}.

فنسأل الله عز وجل ألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ونعوذ به من حلول نقمته، وتحول عافيته، وجميع سخطه، إنه جواد كريم، بر رحيم، ولما كان الأمن بهذه المثابة العظيمة، امتن الله سبحانه وتعالى به على قريش، التي قابلت النعم الكبار بالإباء والاستكبار !!، وما كان الله عزوجل ليمتن –وهو الجواد الكريم– بما ليس بمنة ولا نعمة ، فقد قال سبحانه: {لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف}، وقال سبحانه: {أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون}.

وقد جاء عند الترمذي [١] من حديث عبد الله بن محصن الخطمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من أصبح آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها" [٢].

وقد قال صاحب الفضيلة الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله - : "... فلا شك أن توفر الأمن مطلب ضروري، الإنسانية أحوج إليه من حاجتها إلى الطعام والشراب،

---

[١] برقم (٢٣٤٦).

[٢] وانظر: "صحيح الجامع" (٦٠٤٢).

ولذا قدمه إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – في دعائه على الرزق، فقال: {وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير} (البقرة: ١٢٦). لأن الناس لا يهنؤون بالطعام والشراب مع وجود الخوف، ولأن الخوف تتقطع معه السبل التي بواسطتها تنقل الأرزاق من بلد لآخر، ولذلك رتب الله على قطاع الطرق أشد العقوبات ... ، وجاء الإسلام بحفظ الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، ورتب حدودا صارمة في حق من يعتدي على هذه الضروريات، سواء كانت هذه الضروريات لمسلمين أو لمعاهدين، فالكافر المعاهد له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم، قال النبي ﷺ: "من قتل معاهدا، لم يرح رائحة الجنة" ... والذين يعتدون على الأمن: إما أن يكونوا خوارج، أو قطاع طرق، أو بغاة، وكل من هذه الأصناف الثلاثة يتخذ معه الإجراء الصارم الذي يوقفه عند حده ويكف شره عن المسلمين والمستأمنين وأهل الذمة ... ". ا هـ

فيجب على كل عاقل، أن يحافظ على سلامة أمن البلاد، وذلك بالحفاظ على العقيدة الصحيحة أولا، لقوله سبحانه وتعالى: {الذين آمنوا ويلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون}، وأن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحكمة وموعظة حسنة، وأن يحرص على طاعة ربه، فإن ذلك جالب لعز الدنيا والآخرة، فالله عز وجل يقول: {ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا، وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما، ولهديناهم صراطا مستقيما}.

وليعلم المرء أن الإعراض عن أمر الله سبب في زوال نعمة الأمن، وحلول الخوف والفزع، قال تعالى: {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا} الآية، وقال سبحانه: {ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون}، ويقول سبحانه: {ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور}.

ومعلوم أن هذا الأمن لا يتحقق إلا بدولة قوية ، تحكم الناس وتسوسهم إلى ما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد، ومعلوم – أيضا – أن الدولة لا تنهض بهذه المهمة

العظيمة، إلا بأمور، منها: السمع والطاعة من الرعية لولاة الأمور في المعروف، والصبر على الجور والظلم – عند وجود المنكرات - ، مع النصح بالتي هي أحسن، وتقدير المصالح والمفاسد المترتبة على أي تصرف، ومراعاة طريقة وحكمة السلف، لا حماسة وطيش بعض الخلف!! ولذلك فقد جاءت الأدلة على هذا الأمر، فمن ذلك:

قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا}.

وقد أمر النبي ﷺ بالسمع والطاعة لولاة الأمور وإن جاروا: فقد جاء عند مسلم ([1]) أن سلمة بن يزيد الجعفي رضي الله عنه سأل النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء، يسألوننا حقهم، ويمنعوننا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو الثالثة، فجذبه الأشعث بن قيس، فقال له رسول الله ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم"، وفي البخاري ([2]) ومسلم ([3]) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: "إنكم سترون أثرة، وأمورا تنكرونها" قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: "أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم"، وعند مسلم ([4]) من حديث حذيفة رضي الله عنه في ذكر فتنة آخر الزمان، قال رسول الله ﷺ: ".... يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال، قلوبهم قلوب الشياطين، في جثمان إنس" قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركت ذلك؟ قال: "تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع".

ولقد امتثل أبوذر الغفاري رضي الله عنه هذه الأوامر النبوية، ولم يكن مفتاح فتنة مع غيرته، وصدق لهجته، وصدعه بالحق رضي الله عنه، فقد جاء في "السنة" لابن

---

[1] برقم (١٨٤٦).
[2] برقم (٧٠٥٢).
[3] برقم (٤٧٥٢).
[4] برقم (٤٧٦٣).

أبي عاصم ([1]) من طريق معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: لما خرج أبوذر إلى "الربذة"، لقيه ركب من أهل العراق، فقالوا: يا أباذر، قد بلغنا الذي صنع بك، فاعقد لواء، يأتك رجال ما شئت، قال: مهلا مهلا يا أهل الإسلام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "سيكون بعدي سلطان، فأعزوه، من التمس ذُله، ثَغَر ثغرة في الإسلام، ولا يقبل منه توبة، حتى يعيدها كما كانت" ([2]).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – كما في "مجموع الفتاوى" (٢٨ / ٣٩٠ - ٣٩١): "يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ: "إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمروا أحدهم" رواه أبوداود من حديث أبي سعيد وأبي هريرة ... فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم، وإقامة الحدود، لا تتم إلا بقوة وإمارة، ولهذا رُوي: أن السلطان ظل الله في الأرض، ويقال: ستون سنة من إمام جائر، أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان، والتجربة تبين ذلك، قال: ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوة مجابة، لدعونا بها للسلطان، وقال النبي ﷺ: "إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم" رواه مسلم.

وقال: "ثلاث لا يُغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم"، رواه أهل السنن، وفي "الصحيح" ([3]) عنه أنه قال: "الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة" قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم".

---

[1] برقم (١٠٧٩).

[2] قال شيخنا الألباني رحمه الله تعالى في ظلال الجنة: ٢ / ٤٩٩، إسناده صحيح.

[3] هو في "مسلم" عند تميم الداري بمثله (٢ / ٤٨ نووي) ط. قرطبة.

قال: فالواجب اتخاذ الإمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس، لابتغاء الرئاسة والمال بها ...". اهـ

فظهر من مجموع ذلك: أن الأمن نعمة للجميع، وأن ذلك لا يكون إلا بولاية وقوة، ولا يكون ذلك إلا بسمع وطاعة، وقد رأينا بعض الشعوب الذين سقط حكامهم، وضاعت دولهم – على عوجها وانحرافها – لم يعد لهم كرامة – كما كانت لهم من قبل – في كثير من البلدان، ألا يعتبر الشباب بما جرى في عدد من الدول، عندما أسقطوا حكامهم – وهم شر مستطير – فقد انتشرت الفتنة في كل بيت، وزاد البلاء واستفحل؟! فها هم يتمنون رجوع الأيام السابقة – على ما فيها – بعد أن جربوا الفوضى، ولكن هيهات هيهات.

إن علماء أهل السنة لا يدافعون بذلك عن الدول المسلمة الظالمة حبا في ظلمهم، أو ركونا لدنياهم!! فهم من أبعد الناس عن ذلك، وهم أقل الناس حظا مما في يد الحكام، ولكن ينكرون الفتنة وما يفضي إليها: اتباعا لمنهج السلف، وحفاظا على ما بقي من خير، وصيانة للدماء من السفك، وللحرمات من الانتهاك وإن كانوا يتألمون لوجود المنكرات، ولا ينكرون وجودها، ولا يبالغون في الاعتذار لأهلها، وينصحون ما أمكن بالحذر من مغبة الذنوب، ويدعون الله عز وجل باختيار الأصلح للإسلام والمسلمين.

ثم لو سلمنا أنكم – أيها الشباب – قد أسقطتم الدولة الفلانية، ونجحتم في ذلك – مع أن هذا لا يكون إلا بإهلاك الحرث والنسل – والمسلمون على هذا الحال من الضعف، فهل سيترككم أعداء الإسلام وشأنكم؟! أم سيجعلونها حربا أهلية بينكم وبين طوائف الشعب الذين يصدق على كثير منهم قوله تعالى: {تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى}، ثم يتدخل الأعداء – بعد الخراب، والدمار كما تدخلوا في كثير من البلدان- ، فتكون الجماجم والأشلاء من المسلمين – منكم وممن حاربكم – ثم تكون الثمرة لغيرنا، والأمر كما قيل: نحن نمسك برأس البقرة وقرنيها، وأعداء الإسلام يحلبونها!! فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقد قيل:

على كتفيه يبلغ المجد غيره فهل هو إلا للتسلق سُلَّم؟!

لكن قد يقول قائل: هذه النصوص السابقة في السمع والطاعة في المعروف، والصبر على الأذى، كلها حق، ولكنها تنزل على الأئمة المسلمين، الذين عندهم جور وظلم على أسوأ الاحتمالات، أما جميع حكام زماننا فكفار، ومن هنا فلا سمع لهم ولا حرمة، وتعيّن الخروج عليهم لإزالتهم!!

والجواب: أننا لا نسلم بهذا الإطلاق، ولهذا تفصيل طويل الذيل، ليس هذا موضعه، ولكن لو سلمنا بما قالوه، فهل يلزم من ذلك إثارة الفتن، وفتح أبواب الشغب المفضي إلى محق ما بقي من خير في المجتمعات؟!! فكفر الحاكم شيء، وجر الفتن على البلاد والعباد شيء آخر!!

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – ([1])، في سياق تمثيله لقاعدة تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأحوال: "...المثال الأول: أن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر، ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره – وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله –وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: لا، ما أقاموا الصلاة"، وقال: "من رأى من أميره ما يكره، فليصبر، ولا ينزعن يدا من طاعته".

قال: ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار، رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على المنكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات، ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة، وصارت دار إسلام، عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك – مع قدرته عليه – خشية وقوع ما هو أعظم منه، من عدم احتمال قريش لذلك، لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد، لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه، كما وُجد سواء

[1] في "إعلام الموقعين" (٣ / ١٥ – ١٦ / ط. دار الفكر).

..."، إلى أن قال: "وسمعت شيخ الإسلام – قدّس الله روحه، ونور ضريحه – يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر، لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس، وسبي الذرية، وأخذ الأموال فدعهم". اهـ

وقد تكلم الجويني في "غياث الأمم" (ص ٩٦) في سياق الكلام على من يقدر المصالح والمفاسد، فقال: "ولا يكون ذلك لآحاد الرعية، بل لأهل الحل والعقد".

فلو سلمنا بإطلاق تكفير حكام المسلمين اليوم جميعا – كما يرى هؤلاء المخالفون – فلا يلزم الخروج عليهم بالسلاح، لأن غاية الأمر أن يكون حال المسلمين اليوم كحال رسول الله ﷺ عندما كان يرى أكبر المنكرات وعبادة الأصنام بمكة، وهو صابر على ذلك، ومشتغل بأمر الدعوة لا مجرد تكسير الأصنام فقط، فلما حطمها من قلوبهم، حطمها أمام أعينهم، وهم يحمدون الله ويشكرونه على نعمة الإسلام، فأين نحن من الحكمة النبوية؟!، ولذا فقد قال صاحب الفضيلة الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله تعالى - :

"... وإذا فرضنا على التقدير البعيد: أن ولي الأمر كافر، فهل يعني ذلك أن نغير الناس عليه، حتى يحصل التمرد والفوضى والقتال؟! لاشك أنه خطأ، المصلحة التي تحصل غير مرجوة في هذا الطريق، المصلحة التي يريدها هذا لا يمكن أن تحصل بهذا الطريق، بل يحصل في ذلك مفاسد عظيمة، لأنه – مثلا – إذا قام طائفة من الناس على ولي الأمر في البلاد، وعند ولي الأمر من القوة والسلطة ما ليس عند هذا، ما الذي يكون؟ هل تغلب هذه الفئة القليلة؟ لا تغلب!! بل بالعكس: يحصل الشر والفوضى والفساد، ولا تستقيم الأمور، والإنسان يجب عليه أن ينظر أولا بعين الشرع، ولا ينظر أيضا إلى الشرع بعين عوراء، ينظر إلى النصوص من جهة دون الجهة الأخرى، بل يجب أن يجمع بين النصوص.

ثانيا: ينظر أيضا بعين العقل والحكمة، ما الذي يترتب على هذا الشيء؟

لذلك نحن نرى مثل هذا المسلك مسلكا خاطئا جدا وخطيرا، ولا يجوز للإنسان أن يؤيد من سلكه، بل يرفض هذا رفضا باتا، ونحن لا نتكلم على حكومة بعينها، ولكن نتكلم على سبيل العموم". اهـ

وبعد تقرير أنه لا يلزم من مجرد كفر الحاكم: دعوة الناس للخروج عليه، ومنابذته بالسلاح، فاعلم أن الخروج على الحاكم المسلم – وإن ظلم – يجر إلى فساد عظيم، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في "منهاج السنة" (٣ / ٣٩١): "ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته".

وقال – رحمه الله تعالى – في: (٤ / ٥٢٧ – ٥٣١): "وقل من خرج على إمام ذي سلطان، إلا كان ما تولّد على فعله من الشر، أعظم مما تولد من الخير" ... وذكر بعض الذين خرجوا على بني أمية والعباس، ثم قال: "فلا أقاموا دينا، ولا أبقوا دنيا، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يصلح به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين، ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة، للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين" ... إلى أن قال: "وهذا كله مما يبين أن ما أمر به الرسول ﷺ من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم، وأصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمدا أو مخطئا، لم يحصل بفعله صلاح، بل فساد، ولهذا أثنى النبي ﷺ على الحسن بقوله: "إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"، ولم يثن على أحد لا بقتال في فتنة، ولا بخروج على الأئمة، ولا نزع يد من طاعة، ولا مفارقة للجماعة". اهـ

فتأمل قول شيخ الإسلام: "ولم يثن على أحد لا بقتال في فتنة ... الخ"، يظهر لك أن باب الخروج باب فتنة، فلا تكن من المتهورين فيه، حتى وإن كان الإمام الجائر من الأشرار الفجار، لأن خروجك عليه لا يرجع في الغالب – إلا بشر أكبر.

وقد جاء في الفتح [1] قال ابن بطال: "وفي هذا الحديث – أيضا – حجة لما تقدم من ترك القيام على السلطان – ولو جار - ، لأن النبي ﷺ أعلم أبا هريرة بأسماء هؤلاء، وأسماء آبائهم، ولم يأمرهم بالخروج عليهم – مع إخباره أن هلاك الأمة على أيديهم، لكون الخروج أشد في الهلاك، وأقرب إلى الاستئصال من طاعتهم، فاختار أخف المفسدتين، وأيسر الأمرين". اهـ

وقد صرح شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في "مجموع الفتاوى" (١٣ / ٢٥٥ – ٢٥٦) بأن العلم بما يجري من الفتن والملاحم ليس من حقائق الدين، فقال – رحمه الله تعالى – بعد ذكره قول أبي هريرة: "حفظت من رسول الله ﷺ جرابين: فأما أحدهما: فبثثته فيكم، وأما الآخر: فلو بثثته، لقطعتم هذا البلعوم".

وقال – رحمه الله تعالى – "ولكن ليس في هذا من الباطن الذي يخاف الظاهر شيء، بل ولا فيه من حقائق الدين، إنما كان في ذلك الجراب الخبر عما سيكون في الملاحم والفتن، فالملاحم: الحروب التي بين المسلمين والكفار، والفتن: ما يكون بين المسلمين ....". اهـ

وقال شارح "الطحاوية" (٢ / ٥٤٢): "وأما لزوم طاعتهم – وإن جاروا – فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور". اهـ

وقال العلامة المعلمي – رحمه الله تعالى – في "التنكيل" [2]: "كان أبوحنيفة يستحب أو يوجب الخروج على خلفاء بني العباس، لِما ظهر منهم من الظلم، ويرى قتالهم خيرا من قتال الكفار، وأبوإسحاق – يعني: الفزاري – ينكر ذلك، وكان أهل العلم مختلفين في ذلك، فمن كان يرى الخروج، يراه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بالحق، ومن كان يكرهه يرى أنه شقٌّ لعصا المسلمين، وتفريق لكلمتهم، وتشتيت لجماعتهم، وتمزيق لوحدتهم، وشغل لهم بقتل بعضهم بعضا، فتهن قوتهم، وتقوى شوكة عدوهم، وتتعطل ثغورهم فيستولي عليها الكفار، ويقتلون من

---

[1] (١٣ / ١١ / ك، الفتن / ب. قول النبي: "هلاك أمتي على يد أغيلمة سفهاء" رقم ٧٠٥٨).
[2] (١ / ٩٣ – ٩٤) ط/ المعارف.

فيها من المسلمين، ويذلونهم، ويستحكم التنازع بين المسلمين، فتكون نتيجته الفشل المخزي لهم جميعا، قال: وقد جرّبَ المسلمون الخروج، فلم يروا منه إلا الشر".

وقال الإمام البخاري – رحمه الله تعالى – في عقيدته التي رواها عنه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" ([1]): "لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم: أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، والشام، ومصر، لقيتهم كرات قرنا بعد قرن ([2])، ثم قرنا بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة: أهل الشام، ومصر، والجزيرة مرتين، والبصرة أربع مرات، في سنين ذوي عدد، بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة، وبغداد، مع محدثي أهل خراسان ..." ثم ذكر أسماء بعضهم في عدد من البلدان، ثم قال: "واكتفينا بتسمية هؤلاء، كي يكون مختصرا، وأن لا يطول ذلك، فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء ...." فذكر أمورا في العقيدة، ومن ذلك قوله: "وأن لا ننازع الأمر أهله ... وأن لا يرى السيف على أمة محمد ﷺ، وقال الفضيل: لو كانت لي دعوة مستجابة، لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام، أَمِنَ البلاد والعباد، قال ابن المبارك: يا معلم الخير، من يجترئ على هذا غيرك؟". اهـ

فتأمل هذا الإجماع المستقر الثابت الرافع للخلاف في هذه المسألة.

وقال الأشعري في "رسالة أهل الثغر" ([3]): "وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئا من أمورهم عن رضى أو غلبة، وامتدت طاعته – من بر وفاجر – لا يلزم الخروج عليه بالسيف جار أو عدل، وعلى أن يغزى معهم العدو، ويحج معهم البيت، وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها، ويصلى خلفهم الجمع والأعياد". اهـ

وبنحو ذلك قال الصابوني في "عقيدة السلف أصحاب الحديث" ([4]): "ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا، ويرون جهاد الكفار معهم، وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم

---

[1] ٢ / ١٩٣ – ١٩٧) برقم ٣٢٠ ط. دار طيبة.

[2] يعني: طبقة.

[3] (ص ٢٩٧) ط / مكتبة العلوم والحكم.

[4] ص ١٠٦ط. مكتبة الغرباء.

بالإصلاح والتوفيق والصلاح، وبسط العدل في الرعية، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف ....". اهـ

وقال الإسماعيلي في "اعتقاد أهل السنة" ([1]): "ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والعطف إلى العدل، ولا يرون الخروج بالسيف عليهم". اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – كما في "مجموع الفتاوى" (٣٥ / ١٢): "وأما أهل العلم والدين والفضل، فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه: من معصية ولاة الأمور، وغشهم، والخروج عليهم بوجه من الوجوه، كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديما وحديثا، ومن سيرة غيرهم". اهـ

ونقل الإمام ابن القيم في "حادي الأرواح" ([2])، عن حرب صاحب أحمد في "مسائله" المشهورة، أنه قال: "هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الآثار، وأهل السنة المتمسكين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع، خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق.

قال: وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم، وكان من قولهم ...." فذكر أمورا، وفيها: ".... والانقياد لمن ولاه الله عز وجل أمركم، ولا تنزع يدا من طاعة، ولا تخرج عليه بسيف، حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا، ولا تخرج على السلطان، وتسمع وتطيع، ولا تنكث بيعته، فمن فعل ذلك، فهو مبتدع مخالف، ومفارق للجماعة ...". اهـ

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في "تهذيب التهذيب" (٢ / ٢٦٣) ترجمة الحسن بن صالح بن حي، أنه كان يرى السيف، ثم قال: "وقولهم: كان يرى السيف، يعني: كان يرى الخروج بالسيف على أئمة الجور، وهذا مذهب للسلف قديم، لكن استقر الأمر

---

[1] ص ٥٠ / ط. دار الريان.

[2] ص ٣٩٩، ٤٠١ / ط. مكتبة المدني.

على ترك ذلك، لما رأوه قد أفضى إلى أشد منه، ففي وقعة الحرة ووقعة ابن الأشعث وغيرهما عظة لمن تدبر ....". اهـ

وقد قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – رحمه الله تعالى – كما في "الدرر السنية" (٧ / ١٧٧ – ١٧٨): ".... ولم يدر هؤلاء المفتونون أن أكثر ولاة أهل الإسلام، من عهد يزيد بن معاوية – حاشا عمر بن عبد العزيز ومن شاء الله من بني أمية – قد وقع منهم من الجراءة والحوادث العظام والخروج والفساد في ولاية أهل الإسلام، ومع ذلك فسيرة الأئمة الأعلام، والسادة العظام معهم، معروفة مشهورة: لا ينزعون يدا من طاعة فيما أمر الله به ورسوله من شرائع الإسلام وواجبات الدين ....". اهـ

شهادة الزعيم الهندي الكبير "المهاتما غاندي":

"لقد أصبحت مقتنعا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته .. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف".

"بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي آسفا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة".

(من حوار لغاندي لجريدة Young India الهندية، موقع إسلام أون لاين)

أمن غير المسلم في الدولة الإسلامية

معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

إن الأمن مطلب للإنسان الذي كرمه الله، وهو نعمة تعم الناس جميعا في المجتمع المسلم.

فأحكام الإسلام المنزلة من الله تعالى، والمبينة بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، تدل على أن أمن غير المسلم – الذي يعيش في المجتمع المسلم – على نفسه وماله وعرضه، مضمون مادام ملتزما بما تقضي به تلك الأحكام، لا يمس إلا بحق.

وهي أحكام واضحة أوجبها الإسلام، ولم توجبها المصالح المتبادلة بين المسلمين وغير المسلمين، ولم تلزمنا بها قواعد القانون الدولي، أو المعاهدات بين الدول الإسلامية وغيرها، لأن هذه الأحكام جانب مهم من شريعة الإسلام الكاملة، يجب على الدولة الإسلامية تطبيقه والعمل به، فهو واجب ديني، قبل أن يكون مصلحة سياسية أو التزاما دوليا.

إن الإسلام يقيم مجتمعا إنسانيا راقيا، تحكمه شريعة إلهية، وهو لذلك يقيم العلاقة بين الناس جميعا على أسس وطيدة من العدل والبر والرحمة.

ونجد في القرآن الكريم آيات عديدة، تحث على العدل والرحمة، وترغّب في هداية البشر على اختلاف الأجناس والألوان والمذاهب والعقائد.

فالإسلام لايريد للآخرين الفناء، بل يريد الهداية والرشد للجميع.

ولما اشتدت مقاومة كفار مكة للدعوة إلى الحق، لم يدع الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بإهلاكهم وإفنائهم، رجاء أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا.

وقد نصر الله رسوله، وكان من كفار مكة بعد الهداية والرشد أعظم الدعاة شأنا، بمنزلة الصحبة التي نالوها، وبطاعة النبي صلى الله عليه وسلم، والعمل من أجل الإسلام والمسلمين.

ونستطيع أن نقول بإيجاز: إن الإسلام يتميز في خصوص التعامل مع غير المسلمين بأمرين مهمين:

الأول: أن له نظاما، يعد جزءا لا يتجزأ من شريعته المتكاملة، وهو نظام للمسلمين يعملون به دائما، ويلزمهم بحكم عقيدتهم، ولم يترك الإسلام العلاقة مع غير المسلمين لتقلبات المصالح والأهواء، ولنزعات التعصب العرقي أو اللوني أوالديني.

لقد افترض الإسلام وجود الآخر، وأهمية التعامل معه، ووضع القواعد التي تضمن حق المسلمين في المجتمع، وحق الآخرين الذين يعايشونهم، دائما أو بصفة مؤقتة، ولم يكن ذلك معهودا في الممالك والإمبراطوريات القديمة قبل الإسلام.

الثاني: أن القواعد التي وضعها الإسلام لتنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم في المجتمع المسلم، تتميز بالسماحة واليسر، وحفظ الحقوق، وتجنب الظلم لمجرد الاختلاف في الدين، فهناك حد أدنى يجب الحفاظ عليه، حتى في حالة العداء أو القتال، وهو الكرامة التي وهبها الله لبني آدم، كما قال تعالى:

{ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا} (الإسراء الآية ٧٠).

وفي أوقات السلم والتعامل في شؤون الحياة المختلفة، يحرص التشريع الإسلامي على حفظ حق الحياة، وحفظ حق العمل والسعي والكسب المشروع لغير المسلم في المجتمع المسلم، ويبلغ التسامح بالنسبة إلى من يعايشون المسلمين بصفة دائمة من أهل الكتاب، حدا يصل إلى حفظ حقهم في التكافل الاجتماعي، بحيث ينال معونة الدولة الإسلامية من تقصر به حالته من العجز أو المرض أو الشيخوخة عن السعي والكسب.

ولا شك أن التشريع الإسلامي بهاتين الميزتين، يضمن العيش الآمن لغير المسلم في المجتمع المسلم، بل يعين غير المسلم على أن يكون فردا يعمل من أجل خدمة هذا المجتمع وتنميته.

أمن غير المسلم تكفله الشريعة:

تكفل أحكام الشريعة، أن يتمتع غير المسلم الذي يعيش في المجتمع المسلم بالأمن على حياته وماله وعرضه، وهذه الحماية مستمرة، سواء أكان من المعاهدين

والمستأمنين أم من أهل الذمة، ما داموا ملتزمين بالعهد، مؤدين ما اشترطه الإسلام عليهم.

والذمة معناها: العهد والضمان والأمان، فلهم عهد الله ورسوله، وعهد جماعة المسلمين، أن يعيشوا في حماية الإسلام، وفي كنف المجتمع المسلم، آمنين مطمئنين، فهم في أمان المسلمين وضمانهم.

وتشمل حماية غير المسلمين في المجتمع المسلم، الحماية من العدوان الخارجي.

ففي كتاب "مطالب أولي النهى":

يجب على الإمام حفظ أهل الذمة، ومنع ما يؤذيهم، وفك أسرهم، ودفع من قصدهم بأذى إن لم يكونوا بدار حرب، بل بدارنا ولو كانوا منفردين ببلد.

وفي "الفروق للقرافي":

أن ابن حزم الظاهري، يجيز أن يقاتل المسلمون عن أهل الذمة ويموتون دون ذلك.

وتشمل كذلك، الحماية من الظلم الداخلي، أي داخل المجتمع المسلم، وتعني دفع كل اعتداء عليهم، وتأمين أنفسهم وأبدانهم وأعراضهم وأموالهم وحقوقهم التي تكفلها لهم الشريعة.

ويتولى ذلك إمام المسلمين وولي الأمر في المجتمع المسلم، أو من ينوب عنه.

فأمن الذمي على نفسه وبدنه، مضمون بالشريعة، لأن الأنفس والأبدان معصومة باتفاق المسلمين، وقتلهم حرام بالإجماع.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

(من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما) رواه الإمام أحمد، والبخاري، وابن ماجه.

وقال الإمام مالك والليث: إذا قتل المسلم الذمي غيلة يقتل به.

وذهب الشعبي وأبوحنيفة، إلى قتل المسلم بالذمي، لعموم النصوص الموجبة للقصاص ولاستوائهما في عصمة الدم المؤبدة.

وتقطع يد المسلم بسرقة مال الذمي، مع أن المال أهون من النفس.

والمال الذي يعد ذا قيمة عند غير المسلمين، كالخمر والخنزير، لا يحل للمسلم إمساكهما ولا يعوض عنهما إن أتلفهما الغير، أما إذا أتلف المسلم ما يملكه الذمي من خمر أوخنزير، فإن الإمام أبا حنيفة يرى أن يعوض الذمي عنهما.

وفي "الدر المختار" من كتب الحنفية: يجب كف الأذى عن الذمي، وتحرم غيبته كالمسلم.

ويقول ابن عابدين في حاشيته: بل قالوا: إن ظلم الذمي أشد.

وكان من سنة الخلفاء الراشدين دفع الضرر عن أهل الذمة وإعانتهم من بيت المال إن قعدت بهم الشيخوخة.

وقد ورد في كتاب "الخراج" لأبي يوسف، ما فعله عمر رضي الله عنه مع شيخ يهودي يسأل الناس، وما فعله مع المرضى من النصارى بالجابية من أرض دمشق، فقد أمر بالإنفاق عليهم من بيت المال.

لقد أدرك الخليفة عمر رضي الله عنه أن أهل الذمة ينبغي أن لا يعيشوا محرومين من القوت الضروري، أو العلاج من المرض وسط مجتمع مسلم، ولا نجد لذلك مثالا في حضارة من الحضارات السابقة على الإسلام، بل نجد إنكارا لهذه القيمة الإسلامية في بعض المجتمعات الحديثة.

ولغير المسلمين في المجتمع المسلم من أهل الذمة والعهد أن يعملوا في التجارة وغيرها، لكسب المال المشروع، والسعي في الأرض وفق العهد معهم، بغير إضرار بمصالح المجتمع المسلم، ولهم – كما كان الحال في الدولة الإسلامية وفي عهد مبكر – أن يعملوا في وظائف الدولة التي لا تحرم عليهم، أو تقتصر على المسلمين، بحكم الشرع، كالإمامة وتولي الصدقات، وغيرها من الولايات التي يشترط فيمن يتولاها الإسلام.

والأساس لحقوق غير المسلمين الذين يعيشون في المجتمع المسلم لم يكن وليد تطور اجتماعي أو تقدم حضاري، ولكن أساسه في القرآن الكريم، قال الله تعالى:

{لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن

الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون} (الممتحنة الآية ٨، ٩).

وفي الآية الكريمة، إشارة إلى البر بالمخالف في الدين، وهي درجة لم يصل إليها أهل الحضارة المعاصرة من غير المسلمين.

وفي القرآن الكريم في مجال المعايشة في المجتمع بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب:

{وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان} (المائدة، الآية ٥).

وهذا في أشد العلاقات قربا بين الناس في كل المجتمعات الإنسانية.

وفي مجال المناظرة والدعوة، يقول الله تعالى:

{ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون} (العنكبوت: الآية ٤٦).

هذا هو الأمن على الأنفس والأبدان والأموال والأعراض، حين يتعامل المسلم مع غير المسلم في شؤون الحياة، من المؤاكلة والتجارة والبيع والشراء، وحتى حين يعاشر المسلم زوجته الكتابية التي تصبح من أقرب الناس إليه.

ولم تقتصر الشريعة الإسلامية على حماية من يعيش في مجتمع مسلم، في حياته الدائمة والمستقرة بين أسرته، وفي مقر عمله الذي يتكسب منه، وهي حالة الذميين، وإنما تجاوزت ذلك إلى حماية المخالف في الدين، الذي يحضر إلى بلاد المسلمين للعمل، أو التجارة أو لشأن من الشؤون المباحة، بإذن من ولي الأمر فيها، ويكون حضوره موقتا بانتهاء العمل، أو قضاء المصلحة التي يبتغيها.

فالإسلام بذلك، لا يقاطع الآخر مقاطعة شاملة، ولا يحرم أصل التعامل مع غير المسلمين لتحقيق مصالح المجتمع المسلم من خلال تلك العلاقات.

لقد وفرت الشريعة الإسلامية، حماية للمستأمن الذي يفد إلى بلاد الإسلام لشأن من الشؤون المباحة، ويدخل إلى ديارنا بإذن منا، ومعرفتنا بحقيقة أمره، واطمئناننا إلى مقاصده المباحة.

إذ يجوز للإمام أو نائبه، أن يعطي الأمان للكافرين على أنفسهم وأموالهم لمصلحة تعود على المسلمين.

وهو أمر واقع في العصر الحديث.

وإذا وقع الأمان بشروطه، وجب على المسلمين جميعا الوفاء للمؤمَّنين به، فلا يجوز أسرهم، ولا أخذ شيء من مالهم إلا بإذن شرعي، ولا أذيتهم بغير وجه شرعي، وإذا مات المؤمَّن في دار الإسلام، فماله لوارثه إن كان معه، وإذا لم يكن وارثه معه أرسل إليه المال.

وعقد الأمان في الشريعة الإسلامية، يمثل التسامح الإسلامي على حقيقته، في التعامل مع غير المسلمين، من خلال علاقات متنوعة مع الناس جميعا.

وفي الوقت الحاضر، يتم إعطاء الأجنبي إذنا بالدخول والإقامة بحسب الأنظمة المتبعة في الدول الإسلامية لدخول الأجانب.

ومتى منح الإمام الأمان لغير المسلم، وجب على المسلمين جميعا احترامه، وعدم انتهاكه، لأن الإمام أو نائبه، صاحب الحق في ذلك، فيثبت الأمن للمستأمن على حياته وماله وعرضه، ويحرم على المسلم التعرض له في نفسه وماله وولده، ويسري الأمان إلى الزوجة.

فتجب لهم العصمة في دار الإسلام، وتجري على المستأمنين أحكام الإسلام في أثناء إقامتهم – في حدود ما خوطب به المسلمون من أحكام الشريعة – وإن كان ذلك لا يجعلهم من أهل دار الإسلام، لأنهم يقضون حاجة موقتة ثم يرجعون إلى دار الحرب.

ولقد عرفت الدولة الإسلامية منذ عهد مبكر، نظام تصاريح السفر والدخول ورقابة الأجنبي، في أثناء إقامته الموقتة على نحو يشبه النظام الحالي.

❖❖❖

السلام في الإسلام

الشيخ محمد بهجة البيطار

قال الله جلت حكمته: {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله، إنه هو السميع العليم} [١] القرآن عظيم الشأن، كامل البيان، فيه تفصيل كل شيء من أمر الله ونهيه ووعده ووعيده، وفيه العظات والعبر، وسائر ما بالعباد إليه حاجة، ولقد أعز الله به هذه الأمة بعد ذلة، وكثرهم بعد قلة، وأغناهم بعد فقر، وقوّاهم بعد ضعف، وألف بين قلوبهم بعد جفاء وعداء، بل بعد تناحر مستمر، وقتال مستحر، كادت معه القبائل يفني بعضها بعضا {واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس، فآواكم، وأيدكم بنصره، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون}. [٢]

قال قتادة: كان هذا الحي من العرب أذل الناس وأشقاه عيشا، وأجوعه بطونا، وأعراه جلودا، وأبينه ضلالا، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلا من أهل الأرض يومئذ كانوا شرا منزلا منهم، حتى جاء الله بالإسلام، فمكّن به في البلاد، ووسع به في الرزق، وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس.

وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا الله على نعمه، فإن ربكم منعم يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله.

ومما جاء به الإسلام هذه الآية الكريمة، آية الجنوح إلى السلم والوئام، ونشر ألوية السلام في العالم، ومثلها قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين} [٣] ففي الدخول في السلم ترك

---

[١] الأنفال: ٦١.

[٢] الأنفال: ٢٦.

[٣] البقرة: ٢٠٨.

للخصومات، وبعد عن التنازع المؤدي إلى الفشل، {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم} [١] أي ريح التناصر والتعاون بينكم.

وقد كان من أثر عمل المسلمين الأولين بمثل هذه الآيات الكريمة أن العرب الذين نشأوا على العصبية الجاهلية، بعيدين عن سياسة الأمم وحكم الشعوب، انتهت إليهم في بضع سنين سياسة فارس والروم، ورئاسة آسيا وأفريقيا، فأنى لهم ذلك لولا هدي القرآن، وشريعة الرسول عليه الصلاة والسلام؟

أصبح العربي بهدي النبي العربي – من قادة الساسة والحرب، وأفضل من ساس الأمم، فبات المغلوبون لهم، الخاضعون لسلطانهم، من الروم، أحرص على حكمهم، وأرغبهم في شرعهم، أفليس في هذا كله ما يكف عن الإسلام ألسنة المتخرصين، ويشهد بأن الفتح الإسلامي كان خيرا وبركة على الناس أجمعين.

أما الحرب والقتال لمحض البغي والعدوان، والضراوة بسفك الدماء، أو لأجل الطمع في المال، وسعة الملك وتسخير البشر، وإرهاقهم بتمتع القوي بثمرات كسب الضعيف، فكل هذه الحروب محرمة في الإسلام، لا يبيح شيئا منها، لأنها لحظوظ الدنيا وشهواتها، وهو ما تراه في الأمم القوية، الفاتكة بالشعوب المستضعفة، ورحم الله القائل:

ومعترك للموت أما سماؤه فنقع، وأما أرضه فجماجم

تنازع فيه النصر خصمان: أعزل يدافع عن ملك، وشاك يهاجم

وأما الاقتتال الجاهلي قبل الإسلام فهو حروب أهلية داخلية، فيها إضعاف للأمة، وتفريق لوحدتها، وهد لقواها، ومنهم من كان يصرّح بأنه يشهد الوغى لا لغرض سوى شهود الملذات، واليأس من الحياة كقول طرفة:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وان أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

وعنترة الذي يتغزل بعبلة ويحاول أن يسترضيها بوقائعه ومشاهده، فيقول:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

---

[١] الأنفال: ٤٦.

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وأين هذه الأهداف القاصرة أو الخاسرة، في الأمم الغابرة والمعاصرة، من الهدف الإسلامي وهو الجهاد لإعلاء كلمة الله، أي لنصرة التوحيد على الوثنية، والعدل على الظلم، ولنصرة الحق على الباطل، والفضيلة على الرذيلة.

وأين ذكر عنترة لعبلة حين اشتداد القتال، من ذكر الله في قوله {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون} [1] فالثبات من أسباب النصر والظفر، وذكر الله قوة معنوية تثبت القلوب من ناحية، وتبعث فيها الرحمة من ناحية أخرى، فالذاكر لله لا يقاتل ابتداء ولا اعتداء، ولا يقاتل من لا يقاتل كالنساء والصبيان، والشيوخ والمرضى، ومن ألقى السلم وكف عن الحرب. وإذاً فالمسلمون يقاتلون للدفاع عن أنفسهم ووطنهم، ولحماية الإرشاد والدعوة، لا لإقامة الدين بالسيف والقوة، كما يظن الغر الجاهل، أو يقول العدو المتحامل، وذكر الله هو الذي جعلهم أعدل الأمم وأرحمهم، كما قال فيلسوف التاريخ كوستاف لوبون: "ما عرف التاريخ فاتحا أرحم ولا أعدل من العرب" على أن الإسلام يجنح للسلام، ويدعو إليه الشعوب والأقوام، ولهذا قال: {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله، إنه هو السميع العليم}. [2].

الإسلام وحي نزل من السماء، لإصلاح الروح مع المادة، ألا وإن إصلاح المادة لا يمكن أن يصلح الروح الطموح الجموح، ولكن إصلاح الروح هو الذي يصلح المادة.

ألم تروا إلى الدول الكبرى الذين علموا أسرار المادة، فدرسوها وحللوها تحليلا كيماويا، واستنبطوا منها القنبلة الذرية، هل خلصتهم علومهم وفنونهم المادية من المشاكل الاجتماعية التي يتخبطون في ديجورها، لو عني أولئك الماديون بإصلاح روحهم بمقدار عنايتهم بإصلاح الجوامد والسوائل، لوجدوا في أرواحهم مناعة وقوة تمنعهم من الوقوع في هذه المجازر البشرية، وما يتبعها من مصائب وويلات.

---

[1] الأنفال: ٤٥.

[2] الأنفال: ٦١.

قال لي عالم غربي: إن هؤلاء الغربيين قد فتنوا بالمادة فأضلتهم وضغطت عليهم فأهلكتهم، إنها أوقدت في صدورهم نار العداوة والبغضاء، فترى العداء مستحكما بين كثير من أفرادهم وأسرهم وحكوماتهم، ويخشى أن يفضي التطاحن بينهم إلى حرب أشد هولا وفظاعة من كل ما سبقها من الحروب العامة، ثم قال: "إن بلادكم يا معشر الشرقيين مهبط الوحي، ومصدر النور وموطن الرسل" صلوات الله عليهم وسلامه "والغرب ينتظر منكم نهضة خلقية تعم الشرق والغرب، وتنقذ الأوروبيين من المدنية المادية ومفاسدها. هذا نظر الأجانب المنصفين فينا، فما هو نظرنا نحن في أنفسنا يا ترى؟ الخير كل الخير في إقامة بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، والخير كل الخير في أن يتعاون رجال الأديان من أهل الوطن الواحد على نشر ألوية المودة والفضيلة، وقمع جراثيم الرذيلة، ومحو الجرائم والآثام، كالبغاء والميسر وغيرهما من الشرور والمفاسد، قال تعالى: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا}. [1]

وتتعاون أيضا على النهوض بهذا الوطن الواحد المشترك، ونكون من دعاة السلام بين بني الإنسان.

ويكون شعارنا "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.❖❖

شهادة الأديب الإنجليزي الشهير "جورج برنارد شو":

"كان محمد هو روح الرحمة، وقد ظل تأثيره باقيا خالدا على مر الزمان، لم ينسه أحد من الناس الذين عاشوا حوله، ولم ينسه الناس الذين عاشوا بعده". (جورج برنارد شو: عظمة الإسلام، المجلد الأول)

---

[1] الحج: ٤٠.

الإسلام يرفض الإرهاب العدواني والعنف

د. إسماعيل سعيد

لا يفرق كثير من كبار القادة السياسيين وأرباب الفكر بين "العنف" (Violence) وبين "الإرعاب" (Terrorism) ، وبين العنف والإرعاب العدواني وبين العنف والإرعاب الضروري.

وأقول "الإرعاب" وليس الإرهاب ترجمة للكلمة الأجنبية (Terrorism) وذلك لأن أصل كلمة "الرهب" ومشتقاتها في القرآن الكريم تعني درجة من الخوف ليست شديدة ويغلب عليها أن تكون ممزوجة بالاحترام تجاه شيء محدد، وقد يحدثه الإنسان في الآخرين لاتقاء شرهم ([1]). وتختلف عن كلمة "الرعب" ([2]) التي هي درجة من الخوف شديدة وتعني الفزع والهلع، وقد يحدثه الإنسان لعقوبة الآخرين أو لظلمهم، وكثيرا ما يقع لأسباب غير مقصودة أو غير محددة أو مجهولة تماما ([3]).

وعلى الرغم من ذلك، فإن الإرهاب والإرعاب في العربية ليسا شرا محضا ولا خيرا محضا في ذاتهما. فهما وسيلتان لا تتحيزان للخير أو للشر. ويمكن استخدامهما لإحقاق الحق ولدفع الباطل ولنصرة المظلوم، كما يمكن استخدامهما لظلم المسالم البريء ولسلب ممتلكات الناس وأموالهم بالباطل وتجريدهم من حقوقهم والاستيلاء على أراضيهم.

وهناك فرق واضح بين العنف والإرهاب، فالعنف يعني استخدام وسائل مادية عنيفة مثل الضرب والتعذيب الجسدي واستخدام السلاح .. للتعبير عن إحساس أو معتقدات أو آراء أو لتحقيق أهداف عامة أو خاصة.

---

[1] انظر الآيات: سورة آل عمران: ١٥١، سورة الأنفال: ١٢، سورة الكهف: ٨، سورة الأحزاب: ٢، سورة الحشر: ٢.

[2] انظر الآيات: سورة التوبة: ٣٤، سورة النحل: ٥١، سورة الأنبياء: ٩٠، سورة القصص: ٣٢، سورة الحديد: ٢٧، سورة الحشر:١٣.

[3] انظر مثلا: ابن منظور، البستاني.

وأما الإرهاب والإرعاب فهما أشمل لأنهما قد يكونان بالوسائل العنيفة أو بالوسائل غير العنيفة مثل: الاستفزاز بالحركات أو الإشارات (يشير عليه وكأنه يريد أن يذبحه) وبالكلام مثل التهديد بالحصار الاقتصادي وبالتهديد بالتشريد وبالتهديد بالتجويع وبالتهديد باستخدام الأسلحة النووية ... ويشمل الإرهاب والإرعاب استخدام حق الفيتو أو التصويت ضد قرار يدين المعتدي مثلا. وقد يكونان ببث تهمة باطلة مثل القذف وشن حملة إعلامية جائرة لتشويه سمعة المستهدف ولبث الأحقاد ضده.

وقد لا يقتل الإرهاب والإرعاب الضحية على الفور ولكن يقتلانها على المدى الطويل، بعد عذاب ومعاناة طويلة، أي يؤديان إلى موتها موتا بطيئا، وذلك بتعريضها للتشرد والجوع ...

وبملاحظة ما يجري في الواقع نجد أن من يستخدمون الإرهاب والإرعاب بمعناهما الواسع الذي يؤيد الحق ويدفع الظلم، أو يؤيد الباطل ويسند العدوان ثلاث فئات رئيسة، هي:

١ – من يستخدمهما بدون ضوابط للعدوان سواء أكان يؤمن بالحياة الأبدية أم لا يؤمن بها. فهو يخالف الفطرة البشرية، ويخالف التعاليم الربانية بما في ذلك تعاليم الإسلام.

٢ – من يستخدمهما – قدر الإمكان بضوابط فطرية – للدفاع عن نفسه أو لدفع الظلم عن الأبرياء من الضعفاء، ولا يؤمن بالحياة في الآخرة، ولكن يفعله بدافع الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

٣ – من يستخدمهما – قدر الإمكان بضوابط فطرية وشرعية – للدفاع عن نفسه أو لدفع الظلم عن الأبرياء من الضعفاء، وهو مؤمن بأن له مكافأة عظيمة في الحياة الأبدية، فهو مدفوع بالفطرة ومدفوع بالمكافأة العظيمة في الحياة الأبدية فيحرص عليها.

ولهذا فإن هذا الأخير أكثر جرأة واستعدادا للتضحية بنفسه، وذلك لأن الحياة الدنيوية بالنسبة له ليست سوى وسيلة، وليست هدفا في ذاتها. ولعل هذا هو السبب في العمليات الجهادية الاستشهادية التي يقوم بها البعض دفاعا عن مقدساتهم وأراضيهم والمظلومين منهم.

وعموما فإن نظرة الإسلام إلى مثل هذه العمليات تختلف باختلاف الفقهاء. فبعضهم يجيزها ويحث عليها ما دامت للدفاع عن الحق وليست للاعتداء على الآخرين بغير حق. ويحذرون من استخدامها ضد الأبرياء الذين لا يجيز الإسلام قتلهم حتى في حالة الحرب مثل كبار السن والنساء والأطفال والمسالمين. والقوانين البشرية في جميع الأنظمة السياسية تحث الجندي على الاستبسال في الحرب المشروعة في نظرها وإن أدى ذلك إلى التضحية بحياته. والبعض الآخر يحرمها باعتبارها نوعا من قتل الإنسان نفسه بيده. ويعتبر الاستبسال شيئا مختلفا لأن احتمال الحياة فيه أكبر، وليس الموت جزءا من نية المستبسل في الغالب.

ومن المعلوم عند أصحاب الرسالات الإلهية أن الحياة في الدنيا هي عبارة عن اختبار يميز بين الصالح الذي يستحق المكافأة في الحياة الأبدية أو الطالح الذي يستحق العقوبة في الحياة الأبدية. والصراع بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل وبين الظالم والمظلوم .. لون من ألوان هذا الاختبار، إذ يقول الله تعالى في القرآن الكريم: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا} ([1]).

وقد يقع الإرهاب والإرعاب بدون قصد المتسبب فيهما، وربما يقعان بخلاف ما أراده. أما إذا تم تنبيهه إلى ذلك ولم يتوقف عن فعل ما يسبب الإرهاب أو الإرعاب فإنهما يأخذان حكم الإرهاب والإرعاب المتعمد.

ولأن الإسلام يدعو إلى السلام الشامل في الدنيا والآخرة أو في الدنيا فقط بين المختلفين في الدين فإنه يحرم استخدام الإرهاب والإرعاب لظلم الآخرين والعدوان عليهم تحريما باتا. وينكر ذلك أشد الإنكار، ويعاقب عليهما بالعقوبة الرادعة، بعد التأكد من كونه إرهابا أو إرعابا عدوانيا وظلما.

ويجيز الإسلام استخدامهما بضوابط تكفل حصر العقوبة في المعتدي وبحيث لا تتجاوز الحد اللازم، وذلك للدفاع عن النفس ولرد الاعتداء ولنصرة المظلومين ولاسيما الضعفة الذين لا حيلة لهم في دفع الظلم عن أنفسهم. وهذا ما يسمى في الإسلام بـ

---

[1] سورة الحج: ٤٠.

"الجهاد" ([١]) أو "القتال في سبيل الله" الذي يهدف إلى رفع ظلم حاصل على المسالمين والضعفة والعجزة. يقول الله تعالى: {وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا} ([٢]). ويقول تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا" ([٣]). ولهذا لم يكن غريبا أن يجاهد المسلمون دفاعا عن غير المسلمين من رعاياهم (أهل الذمة) أي الأقلية غير المسلمة ([٤]).

وبعبارة أخرى، فإن "الجهاد" في الإسلام ليس للعدوان ولكن للدفاع المشروع الذي تقره جميع القوانين الوضعية في الدول الديموقراطية وغيرها، والتي بموجبها حرصت جميع الدول على تكوين الجيوش القوية، وتطوير الأسلحة المدمرة.

كيف نفرق بين الإرعاب العدواني والدفاعي؟

لقد اتضح معنا أن الإرهاب والإرعاب قد يستعملهما المعتدي (الظالم) والمعتدى عليه (المظلوم). والسؤال كيف نميّز بين الظالم والمظلوم منهما، وبين من يستخدمهما للعدوان وإيقاع الظلم بالآخرين ومن يستخدمهما لدفع الظلم عن النفس أو للدفاع عن المظلومين؟ الجواب هو:

إن المعيار الجوهري بين الإرهاب العدواني والإرهاب الضروري هو:

من الذي بدأ باستخدام الإرهاب أو الإرعاب ضد الآخر؟ فالبادئ هو الذي يمارس الإرعاب العدواني، والمدافع هو الذي يستخدم الإرعاب الدفاعي.

ومن يساعد الظالم بالتأييد المادي أو المعنوي فهو أيضا في حكم من يمارس الإرعاب العدواني، ومن يساعد المظلوم فهو أيضا في حكم من يمارس الإرعاب الدفاعي.

---

[١] ومن يتأمل في كلمة "الجهاد" ومشتقاتها بالعربية فإنه يدرك أنها تدل على المقاومة لشيء موجود مسبقا، وليس على المبادرة بهجوم. وانظر مثلا ابن القيم ٣ / ٥ – ٩.

[٢] سورة النساء: ٧٥.

[٣] صحيح مسلم: البر والصلة.

[٤] ابن قدامة المقدسي، ابن تيمية الحراني، الشيرازي الحنفي.

صحيح أنه ليس من السهولة تحديد البادئ في جميع الحالات، ولكنه في كثير من الحالات واضح جدا، وذلك على الرغم من مكابرة الطرف الظالم الذي قد يكون أكثر قوة أو له سند أقوى من سند المظلوم.

وأما في حالة تعذر معرفة البادئ، فيمكن التعرف عليه بمعيار آخر، وهو أن نحاول الإصلاح بينهما. ومن يرفض قرار المحكمين المنصفين يعتبر هو الظالم وإن كان مسلما، إذ يقول الله تعالى: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين} ([1]).

والإرهاب والإرعاب العدواني قد يأخذان لونا آخر وهو أن نعاقب إنسانا بدون ثبوت التهمة أو أن نعاقب مجموعة من الناس أو شعبا بتهمة موجهة ضد فئة صغيرة. والإسلام لا يجيز ذلك بتاتا. والعقوبة ينبغي أن لا تتعدى الحدود المشروعة أو الحدود المقبولة بالمنطق بعد ثبوت التهمة. وينبغي أن تكون طبيعة العقوبة ثابتة، لا تتغير بتغير الباغي أو الظالم. فلا تكون قاسية إذا كان الظالم ضعيفا أو ليس صديقا، ولينة إذا كان الظالم قويا أو صديقا أو نرجو منه مصلحة. فالإنصاف يحتم ثبات هذه الحدود. فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بالقسط في جميع الأحوال. يقول تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبيرا بما تعملون} ([2]).

وعلى الرغم من هذه التعاليم الواضحة فإن بعض المنتسبين إلى الإسلام قد يخرجون عن هذه التعاليم ويستخدمون الإرهاب أو الإرعاب العدواني. ومن الطبيعي أن تربي جميع الدول مواطنيها على السلوك الصحيح، ومع هذا لديها سجون تمتلئ بالمجرمين. فهل نقول إن الشعوب كلها مجرمة أو أنها تربي أبناءها على الإجرام؟ وورد في إحصائية أمريكية أن هناك ١٧٥ حادثة "إرهاب" عدواني في الولايات المتحدة الأمريكية بين عام ١٩٨٢ – ١٩٩٦. وقام بمعظمها مسيحيون، ثم يهود. فهل نقول بأن جميع المسيحيين "إرهابيون" عدوانيون؟ طبعا. لا.

---

[1] سورة الحجرات: ٩.

[2] سورة المائدة: ٨.

كيف يعالج الإسلام الإرهاب العدواني؟:

إن الإسلام يعالج الإرهاب أو الإرعاب العدواني بثلاث طرق رئيسة:

أولا – التربية الصالحة منذ الصغر والتنشئة على تحريم الظلم والعدوان ومدافعته، والدعوة إلى العدل والإنصاف ومساندته.

ثانيا – إزالة الأسباب التي تؤدي إلى الإرهاب أو الإرعاب العدواني وذلك بحماية الحقوق، وبالحكم بالعدل، والتعامل بالإنصاف، وبالتعاون على البر والتقوى، وبتوفير وسائل العيش العادلة. وليس عجبا أن يوقف الخليفة الثاني في الإسلام، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تنفيذ حد قطع يد السارق في عام المجاعة، وأن يعفي عبيدا سرقوا ناقة وذبحوها ليسدوا جوعهم. بل، عنّف سيدهم لأنه كان يجوِّعهم، ودفع قيمة الناقة من بيت مال المسلمين، أي الميزانية العامة. ([1])

فقبل الحكم على من يصدر عنه الإرهاب أو الإرعاب لابد من التعرف على أسبابه وإزالتها، وذلك بدلا من الاقتصار على إدانته. وقد نلوم العمليات العشوائية اليائسة للمظلومين التي قد يذهب ضحيتها بعض الأبرياء، ونتجاهل الإرهاب العدواني الذي يواجهونه ويذهب ضحيته آلاف الأبرياء.

وقد تلوم بعض الدول أطرافا مجهولة للإرهاب الذي ينزل بها، وتتجاهل أسباب ذلك. فقد يكون ما ينزل بها هي ردة فعل طبيعية للإرهاب الذي تمارسه هي بمساندتها المستمرة للعدوان. وقد تبحث هذه الدول عن الحل في مزيد من الإرهاب وتغذيته بمزيد من الوقود وتغفل أو تتجاهل الحل الذي في يدها، وهو إزالة الأسباب التي هي مصدرها.

وقد يتسرع بعض حكام الدول في اتخاذ قرارات مبنية على معلومات مغلوطة تقوم بتوفيرها مراكز القوى فيها (مثلا بعض القيادات في الاستخبارات العامة، أو في وزارة الدفاع أو فئة عميلة لدول أجنبية). والأولى أن يبذل هؤلاء القادة جهدا أكبر في التحري عن الحقيقة مثلا بالتعرف على ما تقوله المصادر المحايدة أو القاعدة العريضة من المصادر بدلا من الاقتصار على مصادر محدودة قد تكون مضللة بقصد أو بغير قصد. وذلك لأن بعض القوى المعادية تتخذ وسائل مختلفة من الضغط للحصول على قرارات محددة أو إجراءات. ومن هذه الوسائل الدنيئة المنافية للأخلاق تزويد صناع القرار

[1] مسند الشافعي ١ / ٢٢٤.

بمعلومات خاطئة، والإغراء بالمال، وتوريط المسؤولين في مواقف مخزية أو حرجة عن طريق بعض أنواع النوادي الاجتماعية ثم تهديد المسؤول بواسطتها، وارتكاب جرائم تنسبها إلى أعدائها.

وهنا يأتي دور العقلاء من الشعب في تنوير القيادة وفي تنوير الشعب الذي قد ينخدع بالمؤامرة المبيتة والكيد المتقن أو بالمبررات السطحية التي قد يستخدمها هؤلاء الحكام لإقناع الشعب بالقرارات المتناقضة وغير المنطقية.

ثالثا – فرض عقوبات رادعة، ولكن بعد الإدانة بأدلة دامغة وإجراءات مشددة تسمح للقاضي رفض الاعترافات الشخصية. فالعقوبات التي تطبق على الأبرياء بسبب التهاون في التأكد، أو العقوبات الانتقامية التي تتجاوز الحدود المشروعة تؤدي غالبا إلى مزيد من الإرهاب العشوائي الانتقامي.

هل إنشاء مدارس القرآن يزرع الحقد والتطرف؟

إن القرآن الكريم كما اتضح من الاقتباسات السابقة دعوة للسلام العالمي، وعلى مستوى الحياة الموقتة والأبدية، ودعوة لأداء حقوق الآخرين على الرغم من الاختلاف في الدين.

وفيه حث لمن يقرؤه بفهم كاف على التمسك بالمبادئ الأخلاقية العالية وحسن التعامل مع الناس جميعا، بل والإحسان إليهم، والحرص على سعادتهم في الدنيا والآخرة. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون} [١]

وفي القرآن الكريم حث على أداء حق الرحم وحق الوالدين وإن كانا غير مسلمين. فالله تعالى يقول: {ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون} [٢] وكذلك يقول تعالى: {ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن

---

[١] سورة الممتحنة: ٨ – ٩.

[٢] سورة العنكبوت: ٨.

اشكر لي ولوالديك إلي المصير، وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا} ([1]).

وفي القرآن الكريم ما يؤكد حرص الإسلام على الحفاظ على كرامة الإنسان، وما يحث على العزة التي لا غرور فيها، ويثني على القوة التي لا اعتداء فيها على الآخرين.

وفي القرآن الكريم تاريخ كفاح النبي محمد ﷺ، وصفات من عادوه من أجل دعوته وكيف صبر على الأذى والاعتداء عليه وعلى أتباعه حوالي ثلاثة عشر عاما، ثم أذن الله له بالدفاع عن النفس ومعاملة المعتدين بالمثل.

لقد جرت في العالم حروب كثيرة بين مختلف العصبيات والديانات والوحدات السياسية. واستخدمت هذه الأطراف المتحاربة شتى أنواع الإرهاب، منها: العنف والتدمير والقهر النفسي والروحي والذهني ... فهل جميع هؤلاء إرهابيون أم أن العبرة بالدوافع؟ هل هي عدوانية، أو دفاعية؟

إن جميع الدول لديها مدارس وأكاديميات عسكرية وأمنية وجيوش، وتحرص على تدريب جنودها على الاستعمال الماهر لهذه الآلات والوسائل المدمرة. إن الدول المتطورة ماديا وتقنية في العالم هي الأكثر تقدما في تطوير الأسلحة المدمرة بالجملة وهي التي تبيعها للشعوب الأخرى. وتعتز هذه الدول وتفاخر بأن لديها أقوى الجيوش في العالم وأنها تمتلك مراكز أبحاث متقدمة تقوم بتطوير أكثر الأسلحة تدميرا. فهل نقول بضرورة إلغاء المدارس والمؤسسات الحربية كلها؟

وهل جميع هذه الدول تشجع الإرهاب أو الإرعاب العدواني؟ وهل جميع الدول التي تنمي قواتها العسكرية بحرص شديد هي دول تشجع الإرهاب الإرعاب العدواني؟

بالطبع. لا. فالإنسان العاقل لابد أن يستعد للدفاع عن نفسه إذا واجه ظلما أو اعتداء، والقوانين كلها سواء منها الإلهية أو الوضعية تمنح الإنسان حق الدفاع عن النفس والمال والعرض والدين.

وإذا كان تدريس القرآن الكريم، يزرع الحقد والتطرف لأنه يتضمن جزءا من قصص الصراع بين المسلمين الأوائل ومن عادوهم فكذلك تدريس تاريخ الأمم جميعها.

---

[1] سورة لقمان: ١٤ – ١٥، وانظر صيني، حقيقة العلاقة ص٥٥ – ٦٨.

فهل نمنع جميع الشعوب من تدريس تاريخها، مع ما فيها من قصص الحروب الطاحنة الداخلية وبينها وبين الشعوب الأخرى، وذلك بحجة أن هذه الدروس تغذي روح العصبية والتطرف؟ بل هناك أفلام وأشرطة فديو عن أحداث الحروب العالمية، وعن حروب خيالية بين الشعوب المختلفة وبين الفئات المختلفة من المواطنين في البلد الواحد. فهل ينبغي منع هذه الأفلام الوثائقية لأنها تغذي روح التعصب والتطرف بين الدول أو الشعوب التي اشتركت فيها، مع أنها تعبر عن أحداث حقيقية جرت في الواقع؟ أو هل الأفضل تشويه الواقع وبناء العلاقات الدولية على أسس من الخيال والأحلام الجميلة؟

وهناك نصوص في الكتب المقدسة عند أصحاب الديانات الأخرى، لو تم تجريدها من سياقاتها، لأمكن اعتبارها نصوصا تشجع على "الإرهاب" العدواني. ومثال ذلك في العهد القديم "متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت دخل إليها لتملكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك ... سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم. لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم" ([1]). وأيضا "فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلا مضاجعة ذكر اقتلوها. لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات" ([2])، ومثاله من العهد الجديد: "أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي" ([3]).

فهل نقول بأن هذه الكتب المقدسة تشجع "الإرهاب" والعنف العدواني؟ وهل نلغي هذه النصوص من تلك الكتب؟

بالطبع، لا. فالنصوص المقدسة، خاصة، لابد من فهمها في ضوء سياقاتها المناسبة.

❖❖❖

---

[1] الكتاب المقدس: العهد القديم، التثنية، ٧ / ١ – ٢، سفر التثنية ٢٠ / ١٠ – ١٨.

[2] الكتاب المقدس: العهد القديم، الأعداد، ٣١ / ١٧ – ١٨.

[3] الكتاب المقدس: العهد الجديد: لوقا، ١٩ / ٢٦ – ٢٧.

التعايش السلمي:

التسامح: جذور وثمار

معالي الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين (١)

إذا كان لا ينازع في أن جذور التسامح وفي الوقت نفسه ثمراته هي صفات معينة مثل الرحمة والعفو والصبر، فيلاحظ أن القرآن الكريم كرر ذكر الرحمة والرأفة والعفو والصفح والمغفرة والصبر أكثر من تسعمائة مرة.

وقد ذكرت صفات لله أو للقرآن أو للنبي صلى الله عليه وسلم وفي ضمن ذلك دعوة الإنسان إلى الاتصاف بها، أو ذكرت في مجال مدحها والأمر بها. وذلك مثل قوله تعالى {هو الرحمن الرحيم} (الحشر: ٢٢)، {إن الله بالناس لرءوف رحيم} (البقرة: ١٤٣) {كتب ربكم على نفسه الرحمة} (الأنعام: ٥٤)، {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم} (الزمر: ٥٣)، {فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة} (الأنعام: ١٥٧) {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} (الأنبياء: ١٠٧) {ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين} (المائدة: ١٣)، {وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم} (التغابن: ١٤) {وجزاؤ سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين} (الشورى: ٤٠) (فاصفح عنهم وقل سلام} (الزخرف: ٨٩) {والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين} (آل عمران: ١٣٤) {قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله} (الجاثية: ١٤) {ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور} (الشورى: ٤٣) {ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور} (آل عمران: ١٨٦) {ولنصبرن على ما آذيتمونا}

(إبراهيم: ١٢) {واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا} (المزمل: ١٠) {ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة} (البلد: ١٧).

يمكن للقارئ بعد تأمل ما ذكر أن يسأل هذا السؤال: هل يوجد كتاب دين أو كتاب تربية في أي ثقافة (غير الإسلام) يعطي مساحة للمعاني المذكورة في سعة المساحة التي أعطاها القرآن؟ أو هذا السؤال: هل يوجد دين أو ثقافة غير الإسلام أعطى عناية مثل هذه العناية في التربية على التسامح؟

كنا نشير فيما سبق إلى القرآن، ولكن لم نشر إلى الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم في التربية على المعاني المذكورة والتي يمكن أن تضمها مجلدات.

كما لم نشر إلى مكتبات كاملة من مؤلفات علماء الإسلام التي تعتمد على القرآن والأحاديث النبوية في هذا الموضوع.

(٢)

على أن التسامح في الإسلام ليس تسامح الذل والهوان، أو الخنوع للظلم، أو الاستكانة تجاه الظالمين.

تعبر عن هذا التوازن الآيات الكريمة من سورة الشورى في وصف المتقين {والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون، وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم، ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور} (الشورى: ٣٩ – ٤٣).

ولا يعني التسامح التسوية في المعاملة بين المسيء والمحسن قال تعالى: {وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء} (غافر: ٥٨)، {قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا، قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا، وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا} (الكهف: ٨٦ – ٨٨).

ووصف الله نفسه قائلا: {تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير} (غافر: ٢ – ٣) {إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم} (الأنعام: ١٦٥)

كما وصف الصالحين من عباده بقوله {فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين} (المائدة: ٥٤)

وفي القرآن إلى جانب آيات الوعد والترغيب تأتي آيات الوعيد والترهيب.

التسامح – في الإسلام – لا يعني الإخلال بالعدل، لقد فطنت إلى هذا المستشرقة الإيطالية LAURA VECCIA VAGLIERI حين قالت في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: (لقد امتزج فيه التسامح والعدل، الخصلتان الأكثر نبلا في الإنسان. من السهل أن نورد على هذا أمثلة كثيرة من سيرته) [(١)]

ومع ذلك فإذا لم يترتب على التسامح وعدم مقابلة الاعتداء بمثله إقرار للظلم أو إعانة على ظلم الآخرين أو التقصير في الدفاع عن الدين أو خذلان المسلمين فالتسامح مرغوب ومطلوب لقوله تعالى: {لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين} (المائدة: ٢٨).

الخلاصة: إن التسامح بمعنى عدم العدوان قيمة مطلقة فريضة على كل مسلم إذ يعني ذلك العدل، والعدل مطلوب من كل واحد لكل أحد في كل حال، لقوله تعالى: {كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا} (المائدة: ٨) والتسامح بمعنى البر ومقابلة السيئة بالحسنة أمر مطلوب ومرغوب ما لم يترتب عليه إعانة على الظلم أوخذلان للمظلوم أو انتهاك لمبدأ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

إن تحديد اليونسكو للتسامح قريب من التصور الإسلامي للتسامح حيث تقرر اليونسكو "أنه يتفق تماما مع احترام حقوق الإنسان القول بأن الأخذ بالتسامح لا يعني التسامح تجاه الظلم الاجتماعي، أو تنازل الإنسان عن

---

(1) Laura Veccia Vaglieri. An Interpretation of Islam P. 28.

معتقداته، أو التغاضي عن بعضها، إنه يعني أن تكون للإنسان الحرية في التزام ما يعتقده وقبول حرية الآخر في الالتزام بما يعتقده، إنه يعني قبول حقيقة أن البشر بحكم الطبيعة يختلفون في صورهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم، ولهم الحق في أن يعيشوا في سلام وأن يكونوا كما هم. التسامح يعني تسليم الإنسان بأن عقائده يجب أن لا تفرض على الآخر".

(٣)

كانت فكرة الإسلام عن التسامح من الوضوح بحيث لم تخف على المنصفين من مفكري الغرب على سبيل المثال.

يقول DELACYO'LEARY "إن التاريخ أوضح – بما فيه الكفاية – أن أسطورة المسلمين الذين انساحوا في العالم ينشرون الإسلام بحد السيف واحدة من أسخف الخرافات التي ظل المؤرخون (الغربيون) يرددونها" (١)

ويقول TRITON : "إن صورة المسلمين المحاربين الذين يتقدمون بالسيف في يد والقرآن في يد صورة بالغة الزيف" (٢).

ويقول LEONARD : "إني أجد نفسي مجبرا على الاعتراف بأن محمدا يرفض ولا يقبل العنف في الدين" (٣).

ويقول جوستاف لوبون: "كانت الطريق التي يجب على الخلفاء أن يسلكوها واضحة فعرفوا كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على ترك دينه .. وأعلنوا في كل مكان أنهم يحترمون عقائد الشعوب وأعرافها وعاداتها" (٤).

ويقول M.N.ROY : "الخلفية التاريخية للإسلام والظروف الاجتماعية التي نشأ فيها طبعته بطابع التسامح الذي قد يظهر للعين غير المدركة لا يتفق مع روح التعصب – التي اعتدنا تقليديا أن نربطها بالإسلام ولكن (لا إله إلا الله) وحدها تخلق التسامح" (٥).

---

(1) De Lacy O Leary, Arab Thought and its Place in History, P.8

(2) A. S. Triton. Islam, P.21

(3) A. G. Leonard, Islam, P. 72

(4) جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص ١٣٤.

(5) M. N. Roy Historical Role of Islam, P.P. 40-41

وتقول المستشرقة الإيطالية LAURA VECCIA VAGLIERI : "ليس من المبالغة أن نؤكد بإصرار أن الإسلام لم يكتف بالدعوة إلى التسامح الديني بل جعل ذلك جزءا من قانونه الممارس دائما" (١).

ويقول الكاتب البريطاني الشهير H.G.WELLS : "إن أعظم ما اجتذب قلوب غالبية الناس عندما جاء محمد بدين الإسلام، هو فكرة الإله (الله) - الذي يعني بالوعي الذي فطرت عليه قلوبهم – الحق، وبقبولهم المخلص للإسلام ومنهاجه انفتح أمامهم – في عالم كان مملوءا بعدم اليقين والزيف والانقسامات المتعصبة – باب واسع للأخوة البشرية العظيمة والمتنامية وإلى فردوس لا يحتل فيه القديسون والقساوسة والملوك المكان الأعلى، وإنما تتحقق فيه المساواة بين أتباع الدين، بدون رمزية غامضة، أو طقوس ظلامية، أو ترانيم قسيسين، قدم محمد تلك النظم الأخلاقية إلى قلوب البشرية، الإسلام أوجد مجتمعا تحرر من القسوة والاضطهاد الاجتماعي إلى درجة لم يبلغها أي مجتمع من قبل" (٢) ويقول: "إن الإسلام انتشر وساد لأنه قدم للإنسان أفضل نظام سياسي واجتماعي يمكن أن يمنحه الزمان، هذا النظام الذي يمثل أوسع وأنقى وأنظف فكرة سياسية أمكن حتى الآن أن تطبق عملا على الأرض" (٣).

ويقول في كتاب "مختصر تاريخ العالم": "إن العنصر الثالث لقوة الإسلام يكمن في إصراره على الأخوة الكاملة والمساواة التامة أمام الله بين كل المؤمنين مهما اختلفت ألوانهم أو مراكزهم القانونية والاجتماعية" (٤).

❖❖❖

(1) Laura Veccia Vaglieri, An Interpretation of Islam, P.26

(2) H. G. Wells, Outline of History, PP. 271-272, P. 211

(3) Ibid, P.211

(4) H. G. Wells, Short History of the World, P. 146

التعايش السلمى:

أسس التعايش السلمي في الإسلام ومرتكزاته

د. عبدالله بن عبدالعزيز المصلح

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فإن الله خلق الخلق من أصل واحد فقال تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير} (الحجرات: ١٣)، وقال ﷺ: "يا أيها الناس، ألا إن ربكم عز وجل واحد، ألا وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ألا لا فضل لأسود على أحمر إلا بالتقوى، ألا قد بلغت؟، قالوا: نعم قال: ليبلغ الشاهد الغائب" [1] وجعل الأصل في العلاقة بين الناس التعارف والمحبة والإخاء والسلم وبذلك تكون الحروب والفتن أمرا عارضا غير أصلي، وإنما شرع القتال دفاعا عن النفوس والأديان عامة حتى عند غير المسلمين لقوله تعالى: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا} (الحج: ٤٠)، وقال تعالى: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين} (البقرة: ١٩٠)، وقال تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير} (الحج: ٣٩) ومع أن الخلاف بين البشرية أمر لابد منه فقد جعل الإسلام للحرب قوانين تحكمها فلا إفساد للحرث والنسل ولا قتل لغير المقاتل من الشيوخ والنساء والأطفال، ومع كل ذلك يحرم على المسلم الغدر والخيانة.

قال تعالى: {وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين، ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون} (الأنفال: ٥٨ – ٥٩)، وفي الصفحات التالية سأتناول أسس التعايش السلمي وضوابطه في الإسلام.

---

[1] أخرج أحمد في المسند (٥ / ٤١١)، وانظر: الفتح الرباني (١٢ / ٢٢٧)، وشعب الإيمان للبيهقي (٤ / ٢٨٩) ط دار الكتب العلمية – بيروت.

تعريف التعايش السلمي:

العيش: هو الحياة، يقول الجوهري: كل واحد من المعاش والمعيش يصلح أن يكون مصدرا وأن يكون اسما.

والعيش، والمعيشة: ما يكون به الحياة، ومنه قوله تعالى: {وجعلنا لكم فيها معايش} (الأعراف: ١٠)، أي أن الأرض فيها معايش الخلق، والعيش الخبز والزرع بلغة الحجاز.

والتعايش: المعايشة، يقول: عاش معه كقولهم عاشره، والغالب في التعايش أن يكون بألفة ومودة [٢]، وبهذا يتضح لنا أن من لازم التعايش السلم، فما هو السلم؟

السلم: السلامة والسلام: وهو في الأصل البراءة من العيب والآفات، السلام من أسماء الله تعالى [٣]، وسمي الله تعالى بذلك لسلامته من النقص والعيب والفناء.

واختار بعض أهل اللغة أنه من يسلم منه، واعترض على المعنى الأول بل شنع عن قائليه ورأى أن المعنى: أنه الذي سلم الثقلان من جوره وظلمه فهو في جميع أفعاله سلام لا حيف ولا ظلم ولا تفاوت ولا اختلال [٤]، ومنه تقول: سلم من الآفة سلامة وسلاما إذا نجا [٥]، والمسالمة: المصالحة [٦] ومنه قول النبي ﷺ: (أسلم سالمها الله) [٧]، والسلم: الصلح، والسلم: المسالم تقول: أنا مسالم لمن سالمني، وقد أمر الله المؤمنين بالدخول في السلم كافة فقال: {يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة} (البقرة: ٢٠٨) أمرهم أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك [٨].

---

[٢] تاج العروس للزبيدي (١٧ / ٢٨٢ – ٢٨٦).

[٣] المصدر السابق ٣٢ / ٣٧١ – ٣٧٩).

[٤] المصدر السابق ٣٢ / ٣٨٤، ولا شك أن كلا من المعنيين صحيح، وإنما المقصود المعنى الاشتقاقي.

[٥] المرجع السابق.

[٦] المرجع السابق ٣٢ / ٣٧٦.

[٧] رواه مسلم من حديث أبي هريرة رقم ٧ / ١٧٧.

[٨] تفسير ابن كثير ١ / ٣٧١.

وسمى الله تعالى الجنة دار السلام فقال تعالى: {والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} (يونس: ٢٥) لخلوها من الآفات والتناقض والنكبات [٩] وتحية المسلمين السلام والتسليم، وهو مصدر سلمت، ومعناه: الدعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه، وتأويله: التخليص [١٠]، والسلام كاف في إعطاء صاحبه الأمان، فلو سلم غير المسلم على المسلم لزمه الكف عنه حتى ولو كان ذلك أثناء القتال لقوله تعالى: {ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا} (النساء: ٩٤)، وذلك لأن الإسلام معناه إظهار قبول ما أتي به رسول الله ﷺ وهو كاف في حقن الدم وحفظ العرض والمال حتى ولو كان منافقا، قال تعالى: {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم} (الحجرات: ١٤) قال تعالى: {ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين} (يونس: ٩٩)، وقال تعالى: {عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم، لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون} (الممتحنة: ٧ - ٩)

مرتكزات وأسس التعايش السلمي:

العالم إما أن يعيش في ظل شهادة الإسلام عليه وعندها نرى كيف يكون التعايش السلمي في الأرض {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي} (البقرة: ٢٥٦)، قال تعالى: {هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير} (التغابن: ٢)، وقال تعالى: {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم} (هود: ١١٨- ١١٩) أي للاختلاف، وقيل للرحمة، وقيل للاختلاف والرحمة، وقد يشار (بذلك) إلى شيئين متضادين كقوله تعالى: {لا فارض ولا بكر} (البقرة: ٦٨)، قال القرطبي عوان بين ذلك ولم يقل بين

---

[٩] ابن كثير ٢ / ٦٤١.

[١٠] التاج ٣٢ / ٣٨٥.

ذينك، وهذا أحسن الأقوال لأنه يعم [١١]، وقال تعالى: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن} (العنكبوت: ٤٦). لأن الله حكم أن البشرية سيظل منها كافر ومنها مؤمن وأنهم يعيشون على رقعة أرضية واحدة فلابد من نظام يضمن لهم التعايش، وعلى هذا يكون السلم هو الأصل في العلاقات بين الناس، والحرب طارئة وهو في ظل الإسلام موجود بين المسلمين بعضهم البعض فقد قال ﷺ: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) [١٢]، وحرام الاعتداء على الدين وعلى النفوس والأعراض والأموال [١٣] حتى يعيش الفرد في أمن وأمان [١٤]، وليس هذا قاصرا على المسلمين، بل على كل من يعيش بين ظهرانيهم من المعاهدين والمؤتمنين. وقد جرب الجميع ذلك، فلم يشهد التاريخ أن المسلمين أجبروا أحدا على ترك دينه، بل أوجب الإسلام حماية المعاهد فقد قال ﷺ: (ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة [١٥].

ولما فتحت الشام وجاء الخليفة عمر لتوقيع معاهدة الاستسلام لم يدخل الكنائس ولم يصل فيها، ولما سئل عن ذلك قال أخشى أن يحتج المسلمون بذلك في تحويلها إلى مساجد! ولكل ذلك ظل اليهود والنصارى يعيشون في جزيرة العرب وفي الشام ومصر واليمن والمغرب، وإلى اليوم وهم ينعمون بالأخوة الإنسانية والوطنية، وقد شهدوا أنفسهم بذلك، بينما نجد العكس في الأندلس [١٦]وأوروبا والبلقان وروسيا والصين، فقد أبيد المسلمون إبادة تامة وأجبروا حتى على تغيير أسمائهم ونقلوا من أماكنهم إلى أماكن أخرى، ولا يزال الغرب في هذا العصر الذي يتشدق فيه بالحرية يصف الإسلام وأهله بالإرهاب، ويضايقهم في كل مكان، وينتهك خصوصياتهم في

---

[١١] تفسير الجامع للقرطبي ٩ / ١١٥ .

[١٢] المصدر السابق.

[١٣] انظر الموافقات للشاطبي.

[١٤] السلام العالمي للسيد ص ٣٨.

[١٥] رواه أبوداود ٣ / ٤٣٧ رقم ٣٠٥٢، والبيهقي ٩ / ٢٠٥.

[١٦] ولما أجبر النصارى المسلمين واليهود في الأندلس على التنصر وترك دينهم وتغيير أسمائهم لجأ كثير منهم إلى المغرب والشمال الإفريقي مسلمون ويهود، وآوى المسلمون هناك اليهود كما فعلوا لإخوانهم من المسلمين، وظلوا فيها محميين وإلى اليوم.

الحجاب ونحوه، وهذه مقارنة سريعة للتعايش السلمي الذي يؤمن به المسلم ويفعله، والتعايش في ظل سيطرة غير المسلمين كما سجله التاريخ وشهد به القاصي والداني.

وكان ﷺ هو القدوة الأولى في حسن التعامل مع الناس ولو كانوا مخالفين له في المعتقد، إذ سمح لوفد نصارى نجران المؤلف من نحو ستين شخصا بدخول مسجده الشريف، وأجلسهم فيه فترة طويلة، وعندما حان وقت صلاتهم قاموا متوجهين إلى المشرق ليصلوا صلاتهم، فقام المسلمون لمنعهم عن ذلك، إلا أن الرسول ﷺ نهاهم عن ذلك وتركهم يصلون في طمأنينة [١٧]، كما زار جاره اليهودي المريض فعن أنس – أن غلاما ليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال: (أسلم، فأسلم) [١٨]، وحتى يكون التعايش مع المخالف منهجا واضحا أقر الإسلام الصلح مع الكافرين فقد قال ﷺ عن حلف الفضول: (لو دعيت لمثله لأجبت)، وعقد مع اليهود عهدا عرف بوثيقة المدينة كما هي مبينة في سيرة ابن هشام [١٩] ومن أهم ما تضمنته هذه الوثيقة أن الحرية الدينية مكفولة للجميع وأن الجميع يأمن بعضهم بعضا بل يتعاونون على كل من اعتدى على أحد منهم من خارج هذا الوطن المشترك بين المسلمين واليهود وهو المدينة المنورة.

كما عاهد ﷺ مشركي العرب في صلح الحديبية عهدا تضمن إيقاف الحرب عشر سنين، وتضمنت أمورا كانت ثقيلة على المسلمين لما رأوا فيها من الهضم كالرجوع دون رؤية البيت الحرام وهم محرمون، وإرجاعهم من أتاهم مسلما إلى مكة، لكنهم قبلوا ذلك من أجل الصلح [٢٠] (والصلح خير).

كما صالح إمارات وقبائل في حدود الشام كأهل أيلات وأهل أذرح، وصالح الأكيدر صاحب دومة الجندل [٢١].

---

[١٧] انظر: السيرة النبوية ١ / ٥٧٤.

[١٨] انظر: صحيح البخاري ٤ / ٤، وانظر فتح الباري ١٠ / ١١٩ رقم ٥٦٥٧.

[١٩] السيرة ٢ / ٥٠١ – ٥٠٤.

[٢٠] سيرة ابن هشام ٢ / ٣١٧ ط مكتبة الحلبي عام ١٩٥٥م، وقد اختلف العلماء في دخول الكفار المساجد على ثلاثة أقوال:
١ – المنع مطلقا، ٢ – المنع من دخول المسجد الحرام خاصة، ٣ – منع المشركين دون أهل الكتاب من المسجد الحرام، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨ / ١٠٤.

[٢١] انظر: السياسة والمجتمع في العهد النبوي لإبراهيم حركات ص ٣٢٠، ط: دار الاتفاق الجديدة، المغرب عام ١٩٨٩م.

كما راسل ﷺ ملوك الأرض في زمنه يعرض عليهم الإسلام والتعايش السلمي والرحمة العالمية {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} (الأنبياء: ١٠٧)، وقال تعالى: {وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا} (سبأ: ٢٨) وكانت لتلك الرسائل آثارها الإيجابية إذ إن منهم من آمن وتابع كما وقع من ملوك حمير وعمان وملك الحبشة النجاشي – رضي الله عنه – ومنهم من هادن كالمقوقس ملك مصر، ومنهم من عاند وكابر كملوك الغساسنة وكسرى [٢٢].

في ضوء ما سبق يمكن أن أحدد أهم أسس هذا التعايش في نقاط هي:

١ – كرامة الإنسان واحترامه كإنسان بغض النظر عن دينه ولونه وجنسه.

٢ – العدل: إن الإسلام يقيم الحياة بين الناس على أسس العدل، ليأخذ كل مستحق حقه ومستحقه من رزق، بعيدا عن لونه أو جنسه أو أرضه من تلك الاعتبارات القاصرة بل حتى دون النظر إلى دينه، ومن هنا لما قال إبراهيم عليه السلام: {رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر} رد الله عليه بقوله: {ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير} (البقرة: ١٢٦) أي أن الرزق للجميع ومن خلق لابد أن يرزق، ومن هنا عرف السلام بأنه: الذي سلم الثقلان من جوره وظلمه فهو في جميع أفعاله سلام لا حيف ولا ظلم ولا تفاوت ولا اختلال، وجعل هذا العدل بين الأفراد والجماعات والدول بخلاف من يتشدق بذلك، ففي ١٣ – ١٦ من سبتمبر من عام ١٩٨١ م عقد في نيويورك مؤتمر عالمي سمي بيوم السلام العالمي دعا إلى نزع السلاح لما يمثله من ضرورة لتحقيق السلم العالمي، لكن المتتبع يحق له أن يسأل هل هذا النزع يشمل الولايات المتحدة الأمريكية التي تقتل الحرث والنسل في العراق والصومال وأفغانستان؟ وهل هو لنزع أسلحة دولة اليهود التي تقتل النساء والأطفال؟

أم هو نزع أسلحة المسلمين حتى لا يقاوموا أي اعتداء !!

---

[٢٢] موسوعة التاريخ الإسلامي ١ / ٥٢١.

والعدل: في الأصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل، ومعناه: الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم [٢٣].

٣ – الأمن: فلابد أن يأمن كل مسالم على نفسه وأسرته وعرضه وماله ومن الأمن على الفكر ما دامت حريته لا تتعدى إلى حريات الآخرين.

٤ – الوفاء بالعهود والمواثيق: إن الوفاء بالعهود من أسباب الأمن حتى في حال الحرب ولذا قال تعالى: {وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين} (الأنفال: ٥٨). ومنه حرام الاعتداء على الرسل.

٥ – توفير العيش الكريم لكل إنسان، ولذلك أوجب الله حقوقا في المال كالزكاة، وحرم الربا والميسر والاحتكار، وحث على الإنفاق دون تحديد.

٦ – التعاون التجاري والمعرفي بين الناس قال ﷺ: (ثلاث لا يمنعن: الماء والكلأ والنار) [٢٤]، ومن التعاون والتعايش التبادل التجاري وقد نظمه الإسلام بين الناس مسلمين وغير مسلمين بما لا يعود على المسلمين بالضرر. أما ما عدا ذلك فكله مشروع بل مطلوب لأن في كل كبد رطبة أجرا، ولذا بذل المسلمون ما لديهم للآخرين من تجارات ومعارف علمية، وهي التي أسهمت في نقل الحضارة العلمية من الأندلس وصقلية والشام وبغداد وغيرها من حواضر المسلمين إلى أوروبا والصين وغيرها دون احتكار أو منع كما تفعل الحضارة المادية الغربية اليوم!

إذا كانت تلك هي نظرتنا إلى التعاون والتعايش، فما هي نظرة الآخر إليه؟ إن نظرة الآخرين تقوم على النزاع والصراع والخصام، ومن هنا فإنهم يصنعون الأحداث من أجل بيع السلاح والدواء، ويحتكرون المعرفة بما في ذلك الغذاء حتى ترتفع الأسعار ولو مات الناس جوعا في مختلف أنحاء الأرض، كما أنهم يحتكرون الدواء !!.

٧ – نشر الدين الحق والسماح له من أجل إخراج الناس من عبادة الهوى إلى عبادة خالق السماوات والأرض المستحق للعبادة وحده.

---

[٢٣] النهاية في غريب الحديث ٣ / ١٩٠.

[٢٤] سنن ابن ماجه ٢ / ٨٢٦، رقم ٢٤٧٣، والمعجم الكبير للطبراني ١٥ / ٤٣٧.

٨ – البعد عن الخيلاء والتكبر على الناس (ولا تمش في الأرض مرحا} (الإسراء: ٣٧)، {لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم} (الحجرات: ١١).

٩ – حماية الضعفاء في الأرض {وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين ..} (النساء: ٧٥).

١٠ – أن الله جعل في الأرض أقوات البشرية كلها وأن كل من بذل الأسباب وجد نتائجها، وأن اتباع أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه له أثره الفاعل في جوانب حياة الأمة المختلفة من اقتصاد وسياسة كما قال تعالى: {ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون} (الأعراف: ٩٦)، وقال تعالى: {وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون} (النحل: ١١٢) وقال تعالى: {الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف} (قريش: ٤)، وقال جل من قائل: {أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون} (العنكبوت: ٦٧).

١١ – الموقف الموحد من الظلم ونشر الفساد في الأرض (التسلح، الحروب المجاعات، الأمراض ... الاستبداد، احتلال أراضي الآخرين، نهب الثروات، التدخل في الشؤون الخاصة من سياسة وتربية وغيرها).

١٢ – استدعاء التاريخ كشاهد على الماضي ونظرة للواقع لتظهر معاملة المسلمين مع اليهود والنصارى.

ثم نوازن بين تعامل المسلمين مع غيرهم بتعامل أهل الكتابين مع المسلمين في حال الغلبة والانتصار وفي حال الهزيمة والضعف، ولعل في هذا أبلغ الأدلة.

ولا محالة فإن الدارس المنصف سيخرج بنتيجة مشرفة مبهرة بالنسبة لنا، وربما خجل من إعلان نتيجة بحثه بالنسبة لغيرنا. وحتى لا يكون هذا ادعاء فإني سأذكر بعض الأمثلة وربما كانت أكثر بالنسبة لنا، لأننا – اليوم متهمون ومتهم ديننا - !!

أ – لقد استسلمت مدن كثيرة في الشام وفي الشرق الإسلامي دون قتال، لأن أهلها كانوا يفضلون حكم المسلمين، لما وجدوا فيه من عدل على حكام بلادهم

وأهل دينهم، لما مارسوا عليهم من ظلم، ومن تلك المدن الكثيرة: مدينة حمص حيث كان أبوعبيدة عامر بن الجراح يأخذ الخراج من أهلها فلما همّ بالتوجه إلى اليرموك بأمر من خليفة المسلمين أرجع إلى أهل الحمص خراجهم الذي أخذه منهم وقال لهم: قد شغلنا عن نصرتكم والدفاع عنكم فأنتم على أمركم، فبكى أهل حمص وطالبوا ببقاء حكم المسلمين عليهم وقالوا: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم، ونهض اليهود فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد فأغلقوا الأبواب وحرسوها !!

ب – ولما دخل الصليبيون الكاثوليك بيت المقدس في الحملة الصليبية الأولى سنة ٤٩٢ هـ قتلوا في داخل المسجدين (مسجد الصخرة، ومسجد عمر رضي الله عنه) سبعين ألف مسلم، عدا من رموهم من أعالي البنايات، بشهادة مؤرخين صليبين ونصارى شرقيين مثل فوشيه السارتري الذي يحدث – بافتخار وغبطة – عن هذه الحملة الصليبية، وقال إن الجنود الصليبيين كانوا ينتزعون الرضيع من حضن أمه ويسحقون رأسه بضربه بالأعمدة والجدران حتى يهلك، وسجل تاريخهم في هذا الصدد تفاصيل تقشعر منها الأبدان. من ذلك ما ذكر المؤرخ الأوروبي ديورانت في قصة الحضارة، ومنه أن الصليبيين جمعوا اليهود وأدخلوهم في كنيس لهم فأحرقوه عليهم.

وحتى تتضح الصورة فلننظر ما فعله القائد صلاح الدين الأيوبي – رحمه الله تعالى – حين فتح بيت المقدس عقب معركة حطين بثلاثة أشهر وذلك عام ٥٨٣ هـ، لقد عفا عنهم جميعا ولم يأخذهم بتلك الجريرة.

ج – في الحملة الصليبية الرابعة التي أخطأت طريقها ودخلت إلى بيزنطة وكان أهلها يدينون بالمذهب الأرثوذكسي قام الصليبيون الكاثوليك بقتل أهلها وهتك أعراضهم وإهانة دينهم حتى أنهم عمدوا إلى أكبر كنيسة في القسطنطينية وهي كنيسة القديسة آيا صوفيا، وشربوا فيها الخمر وفعلوا الفواحش والمنكرات وأقاموا امرأة عارية في قلب الكنيسة إهانة لدين الأرثوذكس وقتلوا عددا كبيرا من الرهبان

والقساوسة ونهبوا الثروات العظيمة والقناديل الذهبية التي كانت تملأ هذه الكنيسة وذهبوا بها معهم إلى روما.

لكن انظر: ماذا فعل القائد المسلم محمد الفاتح العثماني حين دخل القسطنطينية فاتحا في القرن التاسع الهجري ودخل عاصمة الأرثوذكس آنذاك بعد حصار طويل احتمى أهلها بكنيسة القديسة آيا صوفيا وأغلقوا عليهم الأبواب وقالوا: إن كان أهل ديننا – يعنون النصارى الكاثوليك – قد فعلوا بنا ما فعلوا في الحملة الصليبية الرابعة لاختلاف مذهبنا عن مذهبهم مع توحد ديننا فماذا سيفعل بنا المسلمون وديننا يختلف عن دينهم بالكلية؟! فأمر السلطان محمد بفتح أبواب الكنيسة ورأى الناس خائفين يجأرون إلى الله تعالى بالدعاء، فدخل عليهم الكنيسة وسجد فيها شكرا لله تعالى على ما منّ به عليه من الفتح المبين، ثم أعلن العفو العام عن أهلها، وأسلم من جراء هذا التصرف عدد كبير من القسس والرهبان، ثم أصدر أمره بتعيين أحد رهبانهم، مسؤولا عند السلطان المسلم عن زيجاتهم وخلافاتهم وفض منازعتهم حتى قال ذلك الراهب: لقد أكرمني السلطان بما لم يكرمني به الملوك من أهل ديني.

ومن عجيب ما نقل من عدل المسلمين مع أعدائهم ما حصل في فتح سمرقند على يد القائد المغوار قتيبة بن مسلم الباهلي ولن تجد لهذه الصورة المشرفة مثيلا في التاريخ إلا عند المسلمين، فحين فتح المسلمون سمرقند واستقروا فيها ونظموا شؤونها وتقلدوا أمرها وأقاموا فيها حكم الإسلام، فقدم وفد من كبار سمرقند إلى خليفة المسلمين في الشام عمر بن عبد العزيز (رحمه الله تعالى) وادعوا أن المسلمين فتحوا سمرقند عنوة دون سابق إنذار أو تخيير كما تقتضيه قواعد الجهاد في الشريعة الإسلامية، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على تلك الديار يأمره بأن ينصب لهم قاضيا ينظر في مظلمتهم فجلس قادة الجيش المسلم مع رؤساء أهل سمرقند وكبرائهم إلى التحاكم في مجلس القاضي (جميع بن حاضر) الذي حكم بخروج الجيش المسلم من سمرقند ومن ثم دعوة أهلها أو منابذتهم على سواء، فلما هم المسلمون بالخروج تنفيذا لحكم القاضي احتج أهل سمرقند، وطالبوا بحكم المسلمين عليهم، لأنهم ذاقوا عدلهم ورحمتهم بهم ودخل كثير منهم في الإسلام.

١٣ – حماية غير المسلمين في المجتمع المسلم من أي عدوان خارجي ومثال ذلك:

- الحماية الداخلية لهم، وبلغت العناية بها أن سميت شرعا ذمة الله وسمي أصحابها أهل ذمة، وهي كلمة مدح.

- إعطاؤهم الحريات العامة في تدينهم ومطاعمهم ومشاربهم، ولنتذكر قول أمير المؤمنين عمر: "ما أنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك، قال: ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه".

وأرى من المناسب لهذا الموضوع أن نختمه بما أوره سيد قطب عند تفسير قوله تعالى: {والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر} (العصر)، حيث قال: فالأمم عندهم سواء، والناس عندهم سواء، الناس كلهم من آدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير} (الحجرات: ١٣)، وقد قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص – رضي الله عنهما – عامل مصر وقد ضرب ابنه مصريا وافتخر بآبائه قائلا: خذها من ابن الأكرمين. فاقتص منه عمر، وقال كلمته الشهيرة: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا [٢٥]، وقال علي بن أبي طالب: واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق[٢٦]، وجاء في معاهدة الخليفة الفاروق مع أهل القدس النصارى: هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار منهم أحد [٢٧].

---

[٢٥] فقه عمر بن الخطاب ٢ / ٣٢٣، رقم ٩٧، تأليف الدكتور رويعي بن راجح الرحيلي.

[٢٦] كما في نهج البلاغة ص ٤٢٧ تحقيق صبحي صالح.

[٢٧] انظر: تاريخ الرسل والملوك ٢ / ٤٤٩.

كما كتب الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز إلى أحد ولاته كتابا جاء فيه: أمابعد: فانظر أهل الذمة فارفق بهم، وإذا كبر الرجل منهم وليس له مال فأنفق عليه[٢٨].

ذلك ما فعله المسلمون قبل ألف وأربعمائة عام واستمروا عليه وبذلك عاش في أكنافهم ومعهم إخوانهم في الإنسانية، يكلؤونهم بالرعاية والحماية، ويدافعون عنهم، ويسمحون لهم بما سمح لهم به دينهم.

فماذا فعل الغرب في ماضيه وحاضره، أليس هو الذي منع المسلمات من حجابهن، وأوجب عليهن العري والتكشف المخالف لجميع الأديان والفطر السليمة؟! ومنعهن من دخول المدارس والبرلمانات والوظائف وهن متسترات، مع أنها حريات شخصية ودينية؟ فمن الذي يمنع التعايش السلمي إذاً، ومن الذي يقبله؟.

فلم يبخل هؤلاء بما عندهم من دين وعلم وتهذيب على أحد، ولم يراعوا في الحكم والإمارة والفضل نسبا ولونا ووطنا، بل عدلوا مع نفوسهم وغيرهم وهم ليسوا مخيرين في ذلك، بل هو أمر واجب عليهم لا خيار لهم فيه.

في ظل حكم هؤلاء وتحت رغبتهم استطاعت الأمم والشعوب حتى المضطهدة منها في القديم أن تنال نصيبها من الدين والعلم والتهذيب، وأن تسهم في بناء العالم الجديد وبذل كل سعيه في خدمة الدين والعلم والناس.

يقول سيد قطب – رحمه الله - : "إن الإنسان جسم وروح، وهو ذو قلب وعقل وعواطف وجوارح، لا يسعد ولا يفلح ولا يرقى رقيا متزنا عادلا حتى تنمو فيه هذه القوى كلها نموا متناسبا لائقا بها، ويتغذى غذاء صالحا، ولا يمكن أن توجد المدنية الصالحة ألبتة إلا إذا ساد وسط ديني خلقي عقلي جسدي يمكن فيه للإنسان بسهولة أن يبلغ كماله الإنساني. وقد أثبتت التجربة أنه لا يكون ذلك إلا إذا مكنت قيادة الحياة وإدارة دفة المدنية بين الذين يؤمنون بالروح والمادة، ويكونون أمثلة كاملة في الحياة الدينية والخلقية، وأصحاب عقول سليمة راجحة، وعلوم صحيحة نافعة".

إلى أن يقول تحت عنوان: "دور الخلافة الراشدة مثل المدنية الصالحة": وكذلك كان، فلم نعرف دورا من أدوار التاريخ أكمل وأجمل وأزهر في جميع هذه النواحي من

---

[٢٨] انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ / ٣٨٠.

هذا الدور دور الخلافة الراشدة، فقد تعاونت فيه قوة الروح والأخلاق والدين والعلم والأدوات المادية في تنشئة الإنسان الكامل، وفي ظهور المدنية الصالحة .. كانت حكومة من أكبر حكومات العالم، وقوة سياسية مادية تفوق كل قوة في عصرها، تسود فيها المثل الخلقية العليا، وتحكم معايير الأخلاق الفاضلة في حياة الناس ونظام الحكم، وتزدهر فيها الأخلاق والفضيلة مع التجارة والصناعة، ويساير الرقي الخلقي والروحي اتساع الفتوح واحتفال الحضارة، فتقل الجنايات، وتندر الجرائم بالنسبة إلى مساحة المملكة وعدد سكانها ورغم دواعيها وأسبابها، وتحسن علاقة الفرد بالفرد، والفرد بالجماعة، وعلاقة الجماعة بالفرد [٢٩].

الخاتمة:

لا يخفى أن الأصل في البشرية أنها كلها من أصل واحد (كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب) [٣٠] وهذا يقتضي منهم الرحمة والتعاون، لأن الأصل الغالب في التعايش أن يكون بألفة ومودة، وسمى الله تعالى نفسه السلام لأنه الذي سلم الثقلان من جوره وظلمه، فهو في جميع أفعاله سلام لا حيف ولا ظلم ولا تفاوت ولا اختلال، كما أن تحية المسلمين السلام، وأن الأصل في العلاقات السلم، والحرب حالة طارئة، ولكن نظرة لواقع الأرض اليوم نجد البشرية على خلاف ذلك، وهي مما يجعلها في حاجة إلى ميثاق شرف ينشر ليدرسه العالم، ويمنع الاعتداء على الآخرين لأعراقهم أو أجناسهم أو أديانهم، وتوفير الغذاء والدواء للجميع، وإتاحة فرص العمل للجميع، ونقل التكنولوجيا وتوفيرها من أجل إسعاد البشرية، مع ملاحظة أن أغلب ذلك الظلم الواقع في الأرض اليوم إنما هو على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

كما يلزم المسلمين أن يعرِّفوا بدينهم وما فيه من رحمة، وكيف تعامل مع مخالفيه في حال السلم والحرب مما يكفي لمن اطلع عليه أن يعلم أنه دين الحق.

وفقنا الله لاتباع الحق وجعلنا هداة مهديين (وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).



---

[٢٩] في ظلال القرآن لسيد قطب ١٣٨٦ هـ (٨ / ٩٥).

[٣٠] صحيح الجامع الصغير رقم ٤٥٦٨.

كلمة عن السيرة النبوية العطرة

د. مقتدى حسن محمد ياسين الأزهري

مدينة بنارس تمتاز بنواح عديدة أهمها الناحية الدينية، وذلك عند الهنادك والبوذيين. وبجانب هاتين الديانتين يوجد في بنارس أتباع الإسلام والنصرانية والجينية والسيخية، وهؤلاء جميعا يمارسون نشاطهم الديني والثقافي في أوساطهم الخاصة، وهناك بعض الأنشطة الدينية والثقافية العامة التي يشترك فيها أتباع الديانات المختلفة، للاستماع إلى المحاضرات ولمناقشة بعض الآراء والنظريات.

ويمثل هذه الأنشطة اجتماع [1] عقده القائمون على مركز الدراسات الدينية في مدينة بنارس للاستماع إلى المحاضرات عن السيرة المحمدية على صاحبها السلام والتحية، من علماء المسلمين. والاجتماع كان قد ضم المستمعين من المسلمين والهنادك والنصارى والبوذيين. تكلم في الاجتماع مندوب الجامعة الفاروقية والجامعة الإسلامية والجامعة السلفية، وقدم هؤلاء المتحدثين البروفيسور (ك. ن. مشرا) الأستاذ في قسم الفلسفة بجامعة بنارس الهندوكية. وفيما يلي موجز عن النقاط التي ألقى الضوء عليها في الاجتماع كاتب هذه السطور:

١ – التفكير في سعادة البشرية: بعث الله النبيين والمرسلين لهداية البشرية إلى طريق عبادته، ولتحقيق سعادتها وصلاحها باتباع أحكام الشرائع الإلهية. وهؤلاء قد أخلصوا في توجيه البشرية إلى الهداية الربانية، وبلغوها ما أنزله الله إليهم من الأحكام والشرائع. ونبي الرحمة محمد ﷺ كان دائم التفكير في موضوع سعادة البشرية ونجاتها من العذاب الإلهي، والقرآن الكريم قد حكى عنه ﷺ هذا التفكير، وذكر حرصه البالغ على هداية الإنسان، يقول تعالى: {لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين} (الشعراء:٣).

---

[1] عقد هذا الاجتماع في عام ١٩٩٢م

ويقول تعالى: {وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين} (يوسف: ١٠٣).

ويصور هذا الحرص حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "مثلي كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقحمون فيها" هذه رواية البخاري.

فالتفكير في سعادة البشرية من سنن الأنبياء والمرسلين، ومن فكر تفكيرهم وسلك سبيلهم وبذل الجهد لتحقيق هذه السعادة، فإنه يستحق الأجر والثناء وخاصة في مجتمع الهند المعاصر الذي يصطلي بنار العصبية، ويعاني أنواعا من المصائب والمهلكات، ويتعرض للقتل والنهب والتهديد والتعذيب. إن الناس في هذا المجتمع يتكالبون على المادة، ويدوسون القيم والفضائل بأقدامهم، ويتهربون من المسئوليات الدينية والخلقية، ويحرصون على تحقيق المنافع لأنفسهم، ويبدون القساوة والجفوة لغيرهم. في مثل هذا المجتمع الأناني يستحق التفكير الإنساني النبيل كل تقدير، وهذا التفكير هو الذي يخفف عن الإنسان آلامه وهمومه، ويمهد له سبيل الخير والسعادة، ويوفر له جو الهدوء والاستقرار.

والوصول إلى هذا التفكير لا يتيسر إلا إذا تجرد الإنسان من الهوى والعصبية، وأخلص في التمسك بالدين الذي يؤمن به، وبحث عن الفضائل والمحاسن التي أرشدت الهداية الربانية إليها، وتغلب على نوازع الشر وغوائل الهوى، وبذل الجهد في معرفة الحق والالتزام به، وتيقن بأن خالق السماوات والأرض هو الذي يعلم مصالح البشرية، وهو الذي يقدر على تحقيقها، وهو الذي بعث رسوله محمدا ﷺ بالدين الإسلامي، ونسخ به الأديان كلها. إن ادعاء الخير للبشرية لا يصدق صاحبه إلا إذا عرف هذه الحقيقة، ووسع صدره لقبولها، ودعا الناس إلى الاعتراف بها، إن الإسلام دين الفطرة، فالإيمان به مقتضى كل دعاية إلى خير البشرية.

٢ – حاجة المجتمع المعاصر: إن التفكير في حالة المجتمع المعاصر يؤكد على احتياجه وتعطشه، فما الذي يحتاج إليه ويتعطش له؟ الإجابة على هذا السؤال تختلف حسب اختلاف العقائد والنظريات. فالذي ينكر الأديان، ويزعم الاستغناء عن الهداية

الربانية، يقول: إن المجتمع تكفيه القوانين الوضعية، وتسعده الضوابط البشرية. وإنه ليس في حاجة إلى دين من الأديان، وليس ملتزما باتباع شريعة سماوية. ولكن الذي يؤمن بالأديان، ويعرف حكمة إرسال الرسل وإنزال الشرائع، يجيب بأن المجتمع المعاصر في حاجة إلى دين إلهي وشريعة سماوية وتوجيه نبوي، وأنه لا يمكنه الاستغناء عن مثل هذا التوجيه وأنه لا ينجو من آلامه ومصائبه إلا باتباع هذا التوجيه وبعودته إلى حمى الدين.

وبعد هذه الإجابة يتحتم على المؤمنين بالأديان أن يدرسوا مشكلات هذا المجتمع، ويقدموا لها الحلول المستقاة من التوجيه الرباني، ويدفعوه إلى الإيمان بأن هذه الحلول هي الحلول الحقيقية لهذه المشكلات، وما سواها ظنون وأحلام. إن الصراع بين الإيمان والإلحاد لا ينتهي إلا باتباع الواقعية ومواجهة الأحداث والتحديات. وهذه الحلول قد تختلف من دين إلى آخر. وحيث إننا اجتمعنا لمعرفة سيرة رسول الإسلام ﷺ وملامح حياته وطرق مواجهته لتحديات عصره ومدى نجاحه في تحقيق السعادة البشرية، فإنه ينبغي أن نبحث عن حلول مشكلات المجتمع المعاصر في هذه الحياة الطيبة والأسوة الحسنة. وإذا ظفرنا بالمطلوب في هذه الحياة فإنه لا يضيرنا أن نقارن بين حلول الإسلام وحلول الأديان الأخرى، حتى تطمئن القلوب، وتتجلي الحكمة الإلهية التي تكمن في جعل هذا الدين ناسخا لغيره من الأديان. إن الأمر ليس أمر الترجيح والتفضيل بعيدا عن الواقع، بل إنه مشيئة وقضاء من الله العليم الحكيم.

٣ – شمول السيرة النبوية: في السيرة النبوية العطرة هداية ونور للإنسان في أطوار حياته، وللمجتمع بمختلف طبقاته. فهذه السيرة ترشدنا في الحياة العائلية، وفي التعليم والإصلاح، وفي التربية والقيادة، وفي بناء المجتمع والدولة، وفي الحرب والصلح، وهكذا هي سيرة شاملة يهتدي بها كل من خلصت نيته وطابت سريرته. سيرة تعلمنا الاستبشار بولادة البنت والإحسان إليها في التعليم والتربية حينما كان المجتمع يتشاءم بولادة البنت، ويختار أقبح الوسائل للتخلص منها.

سيرة تكشف أسرار تربية الأصحاب، وإعدادهم لتحمل أعباء الحياة، وتأهيلهم لسياسة الدولة وارساء قواعد الحضارة، استفاد الأميون بهذه السيرة فصاروا قادة مرشدين وساسة عادلين.

كان الرسول ﷺ زوجا مثاليا كما كان أبا رحيما، وهذه المثالية تتجلى في وصف خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ حينما رجع إليها بعد نزول أول وحي في غار حراء، روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها حديثا طويلا جاء فيه: قال ﷺ لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

صفات الخير والرحمة والإحسان تذكر الزوجة توفرها في زوجها، فهذه شهادة عظيمة لعظيم، وفي ضوء هذه الصفات ينبغي أن ندرس سيرة الرسول ﷺ حتى نتمكن من الاستفادة منها ومن الاستنارة بأنوارها.

٤ – حماية المظلومين: اشترك الرسول ﷺ في حلف الفضول الذي عقدته قبائل قريش فيما بينهم نصرة للضعفاء والمظلومين وحماية للبائسين والمضطهدين، في دار عبدالله بن جدعان. كان هذا الحلف موضع عناية هذه القبائل، وكانوا ملتزمين بما تضمنه إلى مدة من الزمن.

وقد اهتم به الرسول ﷺ حتى قال: ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم، ولو دعيت به لأجبت.

إن المجتمع المعاصر يعاني أنواعا من الظلم والاضطهاد، والمظلومون لا يجدون فيه من يقف بجانبهم، ويحمي حقوقهم، ويدفع عنهم الضيم والأذى. وسيرة الرسول ﷺ تنير لنا السبيل للوقوف مع المظلومين، وتبين أهمية نصر المضطهدين، وتسن سنة رعاية الإنسانية، وتقرر مبدأ احترام النفس البشرية، وتجعل ذلك فوق المال والمادة. هذا هو الدرس الذي نتعلمه من الرسول ﷺ قبل البعثة، وهذا هو ما يحتاج إليه مجتمعنا المعاصر.

٥ – دعوة الحق ليس لها بديل: التجأ أعداء الإسلام في بداية الدعوة إلى وسيلة الإغراء والاستمالة وإرضاء المطامع حتى يوقفوا الدعوة، ويمنعوا الرسول ﷺ من أداء

رسالته، فقد استعد عتبة بن ربيعة، وكان من سادات العرب، لأن يعرض على الرسول ﷺ أمورا لعله يقبل بعضها فيعطونه أيها شاء ويكف عنهم. كلم عتبة محمدا فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا لعلك تقبل بعضها. إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد تشريفا سودناك، فلا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ.

ولم يكن من الرسول ﷺ رد على هذا العرض إلا أنه ﷺ تلا عليه سورة السجدة، وعتبة منصت يستمع إلى أحسن القول، وهنا تبين له أن الدعوة التي أتى بها محمد ﷺ هي فوق كل حرص وطمع، وأن صاحب هذه الدعوة صاحب عزيمة ورسالة تهدف إلى تزكية النفوس وانقاذ الإنسانية، وأنه مأمور في هذه الدعوة وليس مختارا.

٦ – رد الأمانات: أمر الرسول ﷺ بالهجرة إلى المدينة، وعنده ودائع للناس، لأنهم جربوا منه ﷺ الصدق والأمانة، فرأوه خير محافظ لودائعهم. والموقف عند الهجرة كان متأزما جدا، فإن قريشا كانوا قد تآمروا على قتل الرسول ﷺ في الليلة التي أراد الخروج فيها مهاجرا إلى المدينة، وقد تجمعوا حول داره ﷺ يتربصون به حتى إذا خرج قتلوه. في هذه الساعة الحرجة وفي هذه اللحظة المرعبة لم ينس الرسول ﷺ ودائع الناس التي عنده، مع أن أصحاب هذه الودائع هم ومواطنوهم قد ضيقوا عليه الحياة، ودبروا المؤامرة لقتله.

في هذه الليلة أسر الرسول ﷺ إلى ابن عمه علي بن أبي طالب أن يتسجى برده الحضرمي الأخضر، وأن ينام في فراشه، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس.

هذا الموقف الإنساني العظيم، وهذا السمو في المعاملة والأخلاق، وهذا الكمال في الأمانة والتعفف، هذا كله يحتاج إليه اليوم هذا المجتمع، ويحتاج إليه إنسان هذا

القرن الذي تصارعه المطامع والأهواء، وتطارده المخاوف والظنون حتى يقبل على أقبح الأعمال وأبشع الجرائم.

٧ – عقد أول معاهدة في المدينة: الحرية والسلام والانتصار للحق والقضاء على الباطل من المقاصد الأساسية التي دعا إليها الإسلام ورغب أتباعه فيها. والرسول ﷺ حينما استقر في المدينة أسرع إرساء قواعد المجتمع على أساس الفضائل، وبهذا الصدد آخى بين المهاجرين والأنصار، وهذه الأخوة تعد من معجزات الرسول ﷺ التي لا تزال موضع إعجاب العلماء والباحثين.

وبعد هذا التآخي والتناصر اهتم الرسول ﷺ بوضع النظام السياسي للمدينة، وبتوفير الحرية والسلام لسكانها من المسلمين واليهود وغيرهم، فكتب كتابا يعد وثيقة سياسية تاريخية تقرر حرية العقيدة والرأي وحرمة المال والحياة والأرض في المجتمع الذي لم يعرف نظاما ولم يجرب مدنية.

ومما جاء في هذا الكتاب:

"وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين. لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو إثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته".

"وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم. وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه. وأن النصر للمظلوم. وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة. وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم. وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها."

"وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم. وأن من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وإثم، وأن الله جار لمن بر واتقى."

إن المجتمع المعاصر غارق في الظلم والفساد، وبذلك حرم الأمن وسكون النفس، والانقسامات التي يعيشها اليوم لا تتركه يستفيد من مثل هذه الدروس والتشريعات التي وردت في كتاب المدينة.

٨ – خطبة حجة الوداع: في العاشرة من الهجرة أدى الرسول ﷺ فريضة الحج، وفي هذا الحج ألقى يوم عرفة خطبة بليغة قرر فيها حقوق الإنسان، وقدم نصائح غالية

تجدر بأن تكتب بماء الذهب، ويبذل في سبيل العمل بها كل غال ونفيس. والحق أن حكماء العالم ومصلحيه لم يصلوا، مع تقدمهم في العلم والفكر والحضارة والمدنية، الذروة التي وصلت إليها هذه الخطبة في إرادة الخير للبشرية وفي تقرير حق العدالة والمساواة بين بني آدم.

الناس في المجتمع المعاصر يتكلمون كثيرا عن الأصول والمبادئ، ويبدون للبشرية تعاطفا عظيما، ويتظاهرون بالإخلاص والنصح للإنسان المعاصر، ويتجاورون فيما بينهم لحماية حقوق الإنسان واحترامها. ولكن الواقع لا يصدق دعاويهم ولا يثبت إخلاص نواياهم، فإنهم ما زالوا على عدائهم لكثير من القبائل والشعوب، وعلى تعصبهم وانحيازهم للديانة التي يؤمنون بها، وعلى تنكرهم وبغضهم لديانات الآخرين. ومن أمثلة ذلك ما نرى في المجتمع الهندي من محاولات النيل من الإسلام والمسلمين، يحاول المتطرفون من أعداء الإسلام تشويه تعاليم الإسلام وتاريخ أهله، وينسبون إليه الأباطيل والخرافات، حتى ينفروا منه الناس، ويؤذوا المسلمين. هؤلاء الحاقدون لا ينظرون إلى تاريخ المسلمين في العالم، ويغمضون عيونهم عن المآثر والمكارم التي سجلها المسلمون في صفحات التاريخ عبر القرون.

ولكن المنصفين من الباحثين يعرفون جيدا أن تعاليم الإسلام في غاية السمو والكمال، وأن العقل البشري لا يستطيع أن يعثر على نقص فيها، وأن حقوق الإنسان وكرامته لن تصان إلا باتباع هذه التعاليم. ومن أراد تصديق ذلك فليدرس خطبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع، فإنها خير دليل على صيانة الإسلام لحقوق الإنسان.

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الخطبة:

"أيها الناس! إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومك هذا، وكحرمة شهركم هذا".

"فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها".

"وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه لا ربا، وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله".

"وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأن أول دماءكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

"أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا. واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله".

"أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى".

٩ – حياة الزهد والتعفف: إن التكالب على المال والمادة داء المجتمع المعاصر، فالإنسان في هذا العصر يجري ويلهث وراء المال حتى إنه في كثير من الأحيان لا يبالي بالحلال والحرام والشرعي وغير الشرعي، ولا يقدر مدى حاجته إلى المال.

لا شك أن المال مهم في حياة الإنسان، وبه تسد حاجاته، وهذا هو سر ترغيب الإسلام في كسبه. ولكن لابد أن نفرق بين كسب المال لسد الحاجة وبين كسبه للتكثر والازدياد. وكذلك يجب أن نفرق بين الكسب الشرعي وبين الكسب غير الشرعي. إن الكسب الشرعي يكون ببذل الجهد وتحمل المشاق، وغير الشرعي يكون بالسرق والنهب والرشوة وما إلى ذلك. وينبغي أن نلاحظ كذلك أن الكسب قد يكون بامتهان الكرامة الإنسانية وتجاوز الحدود المناسبة، فهذا أيضا لا يليق بالإنسان ولا يحقق له فائدة كبيرة، والإنسان في المجتمع المعاصر قد أغمض العين عن هذه النواحي فتضرر وأضر.

ومن هنا أرشد الرسول ﷺ الإنسان إلى القناعة والتعفف، وأمره بأن يسلك سبيل الحق والعدل في كسب المال وإنفاقه، وأن لا يتكالب على الدنيا، وأن لا يتهالك على المال، فإن جمع المال بطريق باطل جائر يكون وبالا على الإنسان. وقد ضرب ﷺ مثالا رائعا بأسوته وعمله في الترفع عن المادة وفي الالتزام بالكسب الشرعي. كان الملوك والأمراء قد دانوا له ﷺ وأطاعوه، فلو أراد ﷺ منهم أن يجمعوا له المال لفعلوه، ولكنه ﷺ سن سنة حسنة، وأرشد أمته إلى طريق وسط، وإلى الأخذ من

المال بقدر الحاجة وبطريق شرعي عادل، وحينئذ يكون هذا المال خيرا ونعمة، وإلا فإنه شر ونقمة، كما ورد التصريح بذلك في عديد من آيات القرآن الكريم.

١٠ – لا يجزئ بالسيئة السيئة: قد يضطر الإنسان إلى الاستدانة، ويتكدر الجو بين الدائن والمديون في أغلب الأحيان، لأن أحد الطرفين يسيئ المعاملة ولا يقدر الظروف. والرسول ﷺ ضرب مثالا رائعا للعلاقة الطيبة بين الطرفين، تحكى ذلك القصة التالية:

"حدث زيد بن سعنة، وهو من أحبار اليهود، أنه أقرض النبي ﷺ قرضا كان قد احتاج إليه ليسد به خللا في شؤون نفر من المؤلفة قلوبهم، ثم رأى أن يذهب قبل ميعاد الوفاء المحدد ليطالب بدينه. قال: أتيته، يعني رسول الله ﷺ، فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ، قلت له: يا محمد! ألا تقضيني حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب إلا مطلا، ولقد كان لي بمخالطتكم علم. قال: ونظر إليّ عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتصنع به ما أرى؟ فوالذي نفسي بيده لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك. قال: ورسول الله ﷺ ينظر إليّ في سكون وتؤدة، فقال: يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فأعطه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما رعته. قال: فذهب بي عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعا من تمر".

هذه المعاملة الحسنة، وهذا الصبر على الإساءة والأذى لم يذهب سدى، بل كان له تأثير قوي في نفس زيد، فقد أسلم بعد أن رأى من النبي ﷺ الرد بالجميل والصفح عن المذنب، لأنه كان قد قرأ في التوراة أن النبي الخاتم يمتاز بمثل هذه الصفات العليا، وأنه لا ينتقم بل يصبر ويعفو.

١١ – محاربة الخمر والمسكرات: المجتمع المعاصر يعاني أشد المعاناة الأضرار الناتجة عن الخمر وسائر المسكرات والمخدرات، وقد انتشرت هذه المشروبات والأدوية في جميع المجتمعات، راقية كانت أو متخلفة، والمنع من تعاطي هذه المهلكات لم يبق من وظائف الديانات ورجالها فحسب، بل تحمس له أهل السياسة والاقتصاد والاجتماع

أكثر من غيرهم، وهنا ندرك سمو التشريع الإسلامي وكماله وأنه ليس إلا من تنزيل الله جل وعلا الذي أحاط بكل شيء علما، فالقرآن الكريم وصف الخمر بأنها رجس من عمل الشيطان، والشيطان بمثل هذه المحرمات يوقع العداوة والبغضاء بين بني آدم. والوقائع والأحداث التي تترتب على تعاطي المسكرات والمخدرات تبرهن على صدق ما جاء به القرآن.

وبعد معرفة هذا الاتفاق على مضار الخمر والمسكرات ينبغي أن ننظر إلى طرق محاربتها وإنقاذ المجتمع من ويلاتها. جهود كثيرة تبذل على مستوى الحكومات والشعوب للقضاء على تعاطي المسكرات والمخدرات، ولكنها تنتشر على مر الزمن حتى بدأت تهدد المجتمعات البشرية في هذه الأيام. إن الوسائل التي تتخذ لمنع الناس من الخمر والمسكرات تبدو كأنها مشجعة للناس على تعاطيها، والميزانيات الضخمة التي ترصد بهذا الصدد تضيع دون جدوى. وإزاء هذا الفشل منيت به جهود الحكومات المعاصرة في القضاء على المسكرات نرى أن الإسلام حقق نجاحا ملموسا في القضاء على الخمر قبل أكثر من أربعة عشر قرنا، فنداء واحد من الرسول ﷺ بتحريم الخمر قد منع الناس من تناولها حتى أنهم أراقوا ما كان في آيتهم من الخمر ولم يراجعوا أحدا في ذلك: الإيمان بالله تعالى والشعور بالمسؤولية حقق هذه المعجزة، وهكذا تحققت المعجزات على يد الرسول ﷺ في مجال الإصلاح والتربية، فعلى الإنسان المعاصر أن يعرف سر هذا التحول، ويحاول الاستفادة من سيرة النبي الكريم ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين.

١٢ – حسم النزاع: نظرة عابرة إلى القضايا المسجلة في المحكمات تصور لنا سوء الحالة التي وصل إليها المجتمع المعاصر، فالإنسان مع جاره ومع قريبه ومع شقيقه بل أحيانا مع أبيه في مجادلة وخصومة، وليست هذه الخصومة خفيفة تحل وتزول بالمفاوضات والحوار، بل لابد من الذهاب إلى المحكمة، والاستعاونة بالمحامي، وإنفاق الألوف من الروبيات في ذلك حتى يتحقق الانتصار على الخصم، وتشفي نفسه من نار الحقد والغضب. إن القضايا في المحاكم الهندية تبقى سنوات عديدة تنتظر الفصل،

والفريقان يتلوى كل واحد منهما على الآخر، ويحترق في نار العداوة والبغضاء، ويحقق ما تمناه الشيطان من التحريش والتفريق بين بني آدم.

هذه هي صورة مجتمعنا، أما مجتمع الرسول ﷺ وكيف أن الناس يتعاملون فيه، فيصوره حديث رواه الشيخان عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ اختصم إليه رجلان في مواريث لم تكن لهما بينة إلا دعواهما فقال ﷺ: إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذنه، فإنما أقطع له قطعة من النار، فقال الرجلان كل واحد منهما: يا رسول الله حقي هذا لصاحبي.

هكذا كانوا يخافون يوم الحساب، ويراعون مشاعر الآخرين، ويؤثرون إخوانهم على أنفسهم. ومجتمعنا هذا يحتاج إلى مثل هذا السلوك، وسعادته تتحقق بهذا السمو في المعاملة والنزاهة في العمل.

١٣ – محاربة الفواحش والمنكرات: المجتمع الجاهلي كان قد بلغ غاية المجون والفساد، فالناس في ذلك المجتمع لم يكونوا يعرفون القيم الخلقية، ولا يقيمون لها وزنا، ولم يكن عندهم ضابط للعلاقات الجنسية، ولا اهتمام بالتعفف والحشمة. كانت العلاقة الزوجية معروفة في ذلك العصر، ولكن صورها وأشكالها هي الأخرى كانت تصور هبوطهم وانحطاطهم في أمر الجنس، فحياتهم كانت تشبه حياة البهائم التي ينزو أي ذكر منها على أية أنثى دون تفريق. والمجتمع المعاصر أيضا قد انحط من ناحية الخلق، واتبع الهوى دون رادع من الدين أو الأخلاق، إنه اختار لنفسه طريق الفوضى الجنسية الذي سار عليه المجتمع الجاهلي، بل فاق هذا المجتمع ذاك في اختراع أنواع الخلاعة والمجون وعدم المبالاة بأصول الأخلاق وضوابط التعفف، حتى صارت الأعراض مهددة دائما من قبل الفسقة والفجرة الذين لا يبالون بشيء إلا بإشباع الغرائز الجنسية وإيثار الأهواء والملذات. كان المجتمع الجاهلي غارقا في الفواحش والمنكرات، لأنه لم يكن يعرف كثيرا عن الأضرار التي تنتج عن هذه الفواحش، ولكن المجتمع المعاصر عرف كثيرا عن هذه الأضرار، وجرب شقاء الناس لأجلها، وسمع عن البلاء الذي نزل بالناس في صورة "الإيدز" ولكن مع ذلك لا يزال على إصراره

على الفاحشة، ويتوقع من خبراء الطب والمعالجة أنهم ينجحون في القضاء على هذا الداء الفتاك الذي يهدد المجتمع البشري بالانقراض.

وفي هذا الوضع المقلق المهين تلتفت أنظارنا إلى الانقلاب الخلقي العظيم الذي أحدثه رسول الإسلام ﷺ في المجتمع الإسلامي الأول بالقرآن الكريم وبأحاديثه الشريفة وتربيته الحكيمة.

أكد القرآن الكريم حرمة الزنا فقال: {ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا}.

وبهذا الحكم تم تحريم الأسباب التي تقرب إلى الزنا، مثل اختلاط الرجال والنساء، ووسائل اختلاب القلوب، وإبراز مفاتن الجسد، وغير ذلك.

وللحفاظ على العفة والتقوى أرشد إلى وسيلتها، وأوجب العمل فقال: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم، ويحفظوا فروجهم}.

وقال: {وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن}.

وقال بعد الأمر المذكور في موضع آخر: {قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن}.

هذه الآية صرحت بتحريم الفواحش، ولكن هناك حكم آخر يصف فيه الإسلام المراحل التي تسبق الفواحش بالإثم، يقول تعالى: {وذروا ظاهر الإثم وباطنه}.

ونتعجب من الذين منحوا الرجال والنساء حرية فاحشة لشرب الخمر، ومن الذين يمتعون أبصارهم بجمال الخدود في المعابد، ومن الذين يصورون عراة لإبراز الجمال، ومن الذين يغتسلون في الحمامات المشتركة بين الرجال والنساء، ومن الذين يغتسلون عراة في موارد الماء، بأنهم لا يعترفون بتقوى الإسلام وعفته، ولعل ذلك خوفا منهم من الانكشاف أمام الناس. (رحمة للعالمين ٣ / ٥١٧)

وكان من تأثير هذه التوجيهات أنهم ترفعوا تماما عن الفواحش والمنكرات، وإن زلت القدم بأحدهم فارتكب فاحشة فإنه كان يحضر أمام الرسول ﷺ معترفا بذنبه ومطالبا لإقامة الحد عليه، فأين مجتمعنا المعاصر من هذا التسامي في الخلق والخوف من عذاب الآخرة.

❖❖❖

مواقف
من شفقة النبي ﷺ ورحمته بجميع الخلق

الأمين الحاج محمد أحمد

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة بجميع الخلق، فقد قال الله عنه وعن بعثته: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" ومن رحمته صلى الله عليه وسلم أن جعل رحمة المرء للخلق من الإيمان، فعن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه قال: "لن تؤمنوا حتى ترحموا، قالوا كلنا رحيم يا رسول الله، قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة الناس رحمة العامة. [١]

قال القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله: (وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق، فقد قال الله تعالى فيه: "عزيز عليه ما عنتم بالمؤمنين رؤوف رحيم" وقال تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" قال بعضهم: من فضله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه، فقال: "بالمؤمنين رؤوف رحيم". [٢]

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخلف في المسير فيزجي – يسوق – الضعيف ويُردف ويدعو. [٣]

فالمواقف التي تشهد بشفقته ورحمته على الخلق كثيرة لا تحصى نذكر منها ما يلي:

(١) عندما طلب منه ملك الجبال أن يطبق على المشركين الأخشبين:

روى الشيخان بسنديهما عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: "ما لقيت من قومك كان أشد منه يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن

---

[١] قال الحافظ ابن حجر في الفتح :١٠ / ٤٣٨ (أخرجه الطبراني ورجاله ثقات).

[٢] الشفا: ١ / ١٢٢.

[٣] أبوداود: رقم "٢٦٣٩" وقال محقق رياض الصالحين ص ٤٠٧ ،وإسناده صحيح.

الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت، ثم ناداني ملك الجبال، فسلم عليّ ثم قال: يا محمد قد بعثني الله، إن الله قد سمع قول قومك إليك، وأنا ملك الجبال، قد بعثني إليك ربك لتأمرني بما شئت، إن شئت تطبق عليهم الأخشبين [١]. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا". [٢]

(٢) **شفقته ورحمته بأسرى بدر**:

عندما أسر بعض المشركين في غزوة بدر لم يقتلهم الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه استشار فيهم أصحابه فأشار عليه أبوبكر الصديق رضي الله عنه بأن يتركهم ويأخذ منهم الفداء، لأنهم هم بنو العم والعشيرة والإخوان.

أما عمر رضي الله عنه فقد أشار عليه بقتلهم ليعلم الله أنه ليست في قلوب المؤمنين هوادة على المشركين. فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى أبوبكر رضي الله عنه. قال الحافظ ابن كثير: وقد اختلف الصحابة في الأسارى: أيقتلون أو يفدون على قولين: كما قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عاصم عن حميد، عن أنس، وذكر رجل عن الحسن، قال: استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في الأسارى يوم بدر فقال: "إن الله قد أمكنكم منهم". قال فقام عمر فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم، قال: فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم. ثم عاد النبي صلى الله عليه وسلم. فقال للناس مثل ذلك، فقام أبوبكر الصديق فقال: يا رسول الله ترى تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء، قال: فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء. قال وأنزل الله تعالى: "لولا كتاب من الله سبق لمسكم" الآية، انفرد به أحمد.

وقد روى الإمام أحمد، واللفظ له، ومسلم وأبوداود والترمذي وصححه عن عمر ... واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعليا وعمر، فقال أبوبكر: يا

---

[١] الأخشبان: الجبلان المحيطان بمكة، والأخشب هو الجبل الغليظ.

[٢] متفق عليه، البخاري في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم رقم: ١٧٩٥، في الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين.

رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت: والله ما أرى ما رأى أبوبكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان، قريب لعمر، فأضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، فهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبوبكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء.

فلما كنت من الغد قال عمر: فغدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وهما يبكيان، فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، قد عرض عليّ عذابُكم أرني من هذه الشجرة، لشجرة قريبة. وأنزل الله تعالى: {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم} من الفداء، ثم أحل لهم الغنائم. وذكر تمام الحديث. [1]

ليس من الغريب أن يقف الرسول صلى الله عليه وسلم مواقف الشفقة والرحمة هذه مع الكفار، وذلك لأن جميع الخلق من أمته، فالمسلمون به هم أمة الإجابة، والمشركون والكفار هم أمة الدعوة.

(٣) **ومن شفقته ورحمته بالخلق أمره بالإحسان على الأسرى**:

لم تقتصر شفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمته أن عفا عن الأسرى المشركين في غزوة بدر، بل تعدى هذا العفو إلى أن أوصى بهم المسلمين خيرا واستوصاهم عليهم.

قال ابن كثير: (قال ابن إسحاق : وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه، وقال:

---

[1] السيرة النبوية لابن كثير: ٢ / ٤٥٧ – ٤٥٨.

استوصوا بهم خيرا. قال: وكان أبو عزيز [١] بن عمير بن هشام أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، قال أبوعزيز: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال: شُدّ يديك به، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك.

قال أبوعزيز: فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غذاءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبر إلا نفحني بها، فأستحيي فأردها فيردها عليّ ما يمسها. قال ابن هشام: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، ولما قال أخوه مصعب لأبي اليسر وهو الذي أسره ما قال، قال له أبوعزيز: يا أخي هذه وصاتك بي! فقال له مصعب: إنه – أي الأنصاري – أخي دونك. فسألت أمه عن أغلى ما فُدي به قرشي، فقيل لها أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها. [٢]

قال مسطره غفر الله له ولوالديه: لو قارنا بين معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام لأسراهم وبين ما يعانيه الآن أسرى الحروب بل وحتى المعتقلون الأبرياء الذين أخذوا بالظنون والشبهات في بعض البلاد الإسلامية وغير الإسلامية أولئك الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة لا تضح لنا البون الشاسع بين أخلاق النبوة وأخلاق الجاهليين، كما يتعرض الأسرى اليوم للتعذيب والاضطهاد والمعاملة الوحشية التي لا تخطر على بال بشر سَوِي، اللهم إلا على بال أولئك الزبانية الذين يمارسون تلك الأعمال الإجرامية ومن يأمرهم بها. كيف يعامل الشيوعيون واليهود الأسرى المسلمين في أفغانستان وفلسطين وغيرهما من البلاد؟ هنالك مئات الآلاف مثلا من المسلمين الأفغان لا يعرف لهم مصير. هذا بجانب ما تكشفه التحريات والتحقيقات من أصناف التعذيب والانتقام التي يواجهها من ينجو من الموت منهم.

إلى الله المشتكى وإليه المرتجى والملتجأ ولا حول ولا قوة إلا بالله. ألم يأن للمسلمين أن يرجعوا إلى دينهم، فيتأدبوا بآدابه، ويتخلقوا بأخلاقه، ويقتدوا بسيرة رسولهم وصحبه الكرام؟!!

---

[١] اسمه زرارة كما قال ابن الأثير في أسد الغابة – السيرة النبوية لابن كثير: ٢ / ٤٧٥ وهو أخو مصعب لأبيه.

[٢] السيرة النبوية لابن كثير: ٢ / ٤٧٥.

(٤) ومن شفقته على الخلق مواقفه من أولئك الأعراب الغلاظ الجفاة وحرصه على هدايتهم والأخذ بأيديهم إلى بر الأمان:

قال القاضي عياض: روى أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه، ثم قال: آحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا، ولا أجملت، فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا. ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه صلى الله عليه وسلم وزاده شيئا. ثم قال: آحسنت إليك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك، قال نعم. فما كان الغد أو العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم: إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحبها، خلوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حين قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار. [1]

(٥) وقال القاضي عياض كذلك: ومن شفقته على أمته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم. كقوله عليه الصلاة والسلام لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء، وخبر صلاة الليل ونهيه عن الوصال، وكراهته دخول الكعبة لئلا تتعنت أمته، ورغبته لديه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في الصلاة. [2] وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا. [3]

---

[1] الشفا: ١ / ١٢٣ – ١٢٤.

[2] المصدر السابق.

[3] البخاري كتاب العلم: رقم ٦٨.

(٦) ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم في الرحمة عندما قيل له: ادع على ثقيف دعا لها بالهداية:

فعن جابر رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله أخرقتنا [١] نبال ثقيف فادع الله عليهم. قال: "اللهم اهد ثقيفا". [٢]

(٧) وكذلك دعا لدوس بالهداية:

ذكر أهل السير في قصة إسلام الصحابي الجليل الطفيل ابن عمرو الدوسي أنه بعد أن أسلم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجع إلى قومه ويدعوهم إلى الإسلام. قال الطفيل ثم دعوت دوسا إلى الإسلام فأبطأوا عليّ ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت: يا رسول الله غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم. قال: "اللهم اهد دوسا ، وفي رواية وآت بهم – ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم" قال فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس ، فلحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين [٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن دوسا قد هلكت، عصت وأبت فادع الله عليهم. فقال: اللهم اهد دوسا وائت بهم". [٤]

(٨) ومن مواقفه في الرحمة:

ما قاله مالك بن الحويرث رضي الله عنه: "أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة فطن أنا اشتقنا أهلنا وسألنا عمن تركنا في أهلنا ، فأخبرناه وكان رفيقا رحيما ، فقال: ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم

---

[١] وفي رواية "أحرقتنا".

[٢] رواه الترمذي في جامعه، كتاب المناقب – مناقب ثقيف وبني حنيفة رقم (٣٩٤٢) ٥ / ٧٢٩، وقال: حسن صحيح غريب.

[٣] السيرة النبوية لابن كثير: ٢ / ٧٤ – ٨٥.

[٤] البخاري في المغازي، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو رقم "٤٣٩٢".

وصلوا كما رأيتموني أصلي وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم". [١]

(٩) **ومن شفقته ورحمته بالخلق أنه كان يخفف الصلاة أو يتجاوز فيها إذا سمع بكاء صبي**:

فعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على الأمة" [٢] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: "ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي صلى الله عليه وسلم "وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه". [٣]

(١٠) **ومن شفقته صلى الله عليه وسلم غضبه في الموعظة في تطويل الصلاة**:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "كان معاذ بن جبل يصلي مع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يرجع فيؤم قومه، فصلى العشاء فقرأ بالبقرة، فانصرف الرجل فكأن معاذا تناول منه، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: فتّان، فتّان، فتّان ". [٤] ثلاث مرات أو قال فاتنا، فاتنا، فاتنا، وأمره بسورتين أو أوسط المفصل.قال عمرو: لا أحفظهما. [٥]

وفي رواية أخرى عن جابر كذلك قال: أقبل رجل بناضحين [٦] – وقد جنح الليل[٧] – فوافق معاذا يصلي، فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة [٨] – أو النساء – فانطلق الرجل، وبلغه أن معاذا نال [٩] منه. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا [١٠] معاذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ أفتان أنت "ثلاث مرات" ...

---

[١] البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم رقم "٦٠٠٨".

[٢] البخاري في كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي رقم (٧٠٨).

[٣] البخاري في كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي رقم (٧٠٨).

[٤] وقد جاء في رواية "اقرأ والشمس وضحاها وسبح اسم ربك الأعلى" الفتح: ٢ / ١٩٥.

[٥] البخاري في كتاب الأذان، باب إذا طوّل الإمام وكان للرجل حاجة فخرج رقم "٧٠٠".

[٦] ناضحين: الناضح ما استعمل من الابل في سقي النخل والزرع.

[٧] جنح الليل: أظلم وهذا يؤيد أن هذه الصلاة كانت صلاة العشاء.

[٨] وقيل قرأ بالبقرة في الركعة الأولى وباقترب الساعة في الثانية وقيل بالبقرة في الأولى وبالنساء في الثانية.

[٩] قال: إنه منافق – الفتح: ٢ / ١٩٥.

[١٠] وقد ورد أن معاذا كان الشاكي أولا.

فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة. [١]

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطول بنا فلان فيها. فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضبا منه يومئذ. ثم قال: يا أيها الناس، إن منكم منفرين فمن أم الناس فليتجوز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة. [٢]

قال مسطره غفر الله له ولوالديه: يستدل كثير من الناس بقصة معاذ هذه وبهذه الأحاديث السابقة استدلالا في غير موضعه، وهو كما قيل كلمة حق يريدون بها باطلا. فالآن إذا قرأ إمام عشرين أو ثلاثين آية من قصار السور احتج عليه بعض المصلين بهذه الأحاديث الآنفة الذكر واتهموه بالفتنة وهذا استدلال باطل.

فمعاذ رضي الله عنه كان قد صلى العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى بني سلمة وأمهم في صلاة العشاء، وقد ورد أنه قرأ لهم بالبقرة وقيل بالنساء وقيل قرأ في الأولى بالبقرة وفي الثانية بالنساء أو اقتربت الساعة. ثم بعد ذلك عندما علم بخروج هذا الرجل نال منه واتهمه بالنفاق، وشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين وجه الشبه بين ما فعله معاذ رضي الله عنه وبين ما تفعله الأئمة الآن؟ هل واحد منهم يقرأ حتى في صلاة الصبح بواحد على عشر مما قرأ به معاذ ؟

وقد صح أن بعض الصحابة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم "تأمرنا بالتخفيف وتؤمنا بالصافات" وصح أنه قرأ سورة الطور في صلاة المغرب [٣] وأنه صلى بهم مرة المغرب بالأعراف وهكذا.

فالتطويل دائما ليس من السنة كما أن التخفيف دائما ليس من السنة، وخير الأمور الوسط، وهو الجمع بين هذا وهذا، وهذا كله مع توخي الإمام حال من يصلي معه والله أعلم.

---

[١] البخاري في كتاب الأذان باب من شكا أمامه إذا طول رقم (٧٠٥).

[٢] البخاري في كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول رقم (٧٠٤).

[٣] روى البخاري في صحيحه في كتاب المغازي رقم "٤٠٢٤" عن جبير ابن مطعم قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي.

١١ – ومن رحمته وشفقته بأمته توليه لديون أمته ولو تركوا إرثا:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"من ترك مالا فلورثته، ومن ترك كلا فإلينا". [١]

وعن أبي هريرة كذلك يرفعه "ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة. اقرأوا إن شئتم "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم" فأيما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا، ومن ترك دينا أو ضياعا – عيالا – فليأتني، فأنا مولاه. [٢]

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥ / ٦١: (أراد بهذه الترجمة أن الدَّين لا يخل بالدِّين .... وأشار به إلى بقيته، وهو أنه كان لا يصلي على من عليه دَين، فلما فتحت الفتوح صار يصلي عليه).

قلت: انظروا رحمني الله وإياكم بين تولي رسول الله صلى الله عليه وسلم لديون وتربية عيال من مات من المسلمين وبين ما تفرضه بعض الحكومات اليوم على التركات من ضريبة وهي ٢٠ ٪ !!

١٢ – شفقته ورحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوان:

كان صلى الله عليه وسلم رحيما بجميع المخلوقات العاقل منها وغير العاقل، وسنذكر في هذه العجالة بعض الأقوال والمواقف التي تدل على رحمته الصادقة في كل ذي كبد رطب، ونهديها لمن يدعون الشفقة بالحيوان من الكفار والمبهورين بهم من المسلمين والذين يدوسون كرامة الإنسان ويذلونه ويحتقرونه مما ينافي ادعاءهم وافتراءهم الكاذب. الذين يسيئون لآبائهم وأمهاتهم وعجزتهم، ويرمون بهم في الملاجيء، ويعطفون على القطط والكلاب !! فمثلهم مثل قتلة الحسين بن علي رضي الله عنهم، والذين تحرجوا من دم البعوض!!!

وكذلك نهدي ذلك إلى بعض المسلمين الذين يستخدمون بعض الحيوانات ولا يؤدون حقها، إلى هؤلاء وأولئك جميعا نهدي ونقدم هذه المواقف الإنسانية الإيمانية.

فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه سلم حائطا [٣] لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[١] كلا، عيالا – البخاري في كتاب الاستقراض، باب الصلاة على من ترك دينا رقم "٢٣٩٨".

[٢] البخاري، كتاب الاستقراض، باب الصلاة على من ترك دينا رقم (٢٣٩٩).

[٣] بستانا.

جرجر [١] وذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم: فمسح سراته [٢] وذفراه [٣] فسكن، فقال من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هذا لي يا رسول الله . فقال : أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه يشكو إلى أنك تجيعه وتدئبه. [٤]

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا إذا نزلنا منزلا لا نسبح [٥] حتى نحل الرحال.[٦]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث بأكل الثرى من العطش فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي. فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له. قالوا يا رسول الله ! أو إن لنا في البهائم أجرا ؟ قال: في كل كبد رطبة أجر.[٧]

ومن رحمته بالحيوان ما رواه عنه شداد بن أوس رضي الله عنه يرفعه قال: إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته. [٨]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عُذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا، فدخلت فيها النار قال: قالوا والله أعلم: لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستيها ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاس الأرض. [٩].

❖❖❖

---

[١] صوَّت .

[٢] سنامه.

[٣] الذفرى: الموضع الذي يعرف من البعير خلف الأذن.

[٤] رواه أبوداود باسناد مسلم رقم "٢٥٤٩" وأخرجه أحمد ١ / ٢٠٤، انظر رياض الصالحين: ص ٤٥ ، الهامش.

[٥] أي لا تصلى النافلة، ومراده على حرصنا على الصلاة لا نقدمها على حط الرحال ليرتاح الحيوان.

[٦] رواه أبوداود (٢٥٥١) بإسناد حسن.

[٧] البخاري في المساقاة، رقم (٢٣٦٣).

[٨] مسلم: رقم (١٩٥٥).

[٩] البخاري في المساقاة، رقم (٢٣٦٤).

تعامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المخالفين المحاربين

الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد

الرحمة جانب عظيم من جوانب شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وصورة لنفسه الكريمة، فالبر إمامه، والرحمة محيطة به سواء كان ذلك في حال يسره أو عسره، أو كان مع موافقيه أو مخالفيه، وهو الذي يقول: "من لا يرحم لا يرحم" (أخرجه البخاري: ٥٩٩٧، ومسلم: ٢٣١٩) ويقول: "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله" (أخرجه البخاري: ٦٠١٣، ومسلم: ٢٣١٩) ويقول: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" (أخرجه أحمد: ٢ / ١٦، وأبوداود: ٤٩٤١، والترمذي : ١٩٢٤) وإذا تتبعت سيرته – عليه الصلاة والسلام – وجدت أنه يعامل الناس بمقتضى تلك الرحمة، ويتضح ذلك من خلال النظر في طوائف الناس أمامه – عليه الصلاة والسلام - .

فطوائفهم لا تخرج عن أربع:

١ – طائفة المهتدين المؤمنين ٢ – طائفة المنافقين

٣ – طائفة المخالفين المسالمين ٤ – طائفة المخالفين المحاربين

وفي السطور التالية نتحدث عن تعامله صلى الله عليه وسلم مع هذه الطائفة الأخيرة:

طائفة المخالفين المحاربين: فهؤلاء يخرج لهم – عليه الصلاة والسلام – في مظهر الحزم والاحتراس، ويدفعهم بالتي هي أحكم وأعدل، فيرفق بهم إن كان هناك موضع للرفق، ويأخذ فيهم بسنة الحزم إن طغى بهم الشر، فلم يكن الرفق ليزيدهم إلا تمردا. [1]

فإذا أذن – صلوات الله عليه – بقتل كعب بن الأشرف، فلأن كعبا هذا كان شاعرا، وكان يهجو رسول الله، ويحرض عليه كفار قريش، ويفعل بعد هذا شيئا

[1] انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص ١٠٣.

وهو أشد على قلوب العرب من وقع السهام النافذة، وهو أنه كان يشبب بنساء المسلمين.

وقد احتمل منه النبي – عليه الصلاة والسلام – هذا الأذى حينا، ولما أبى كعب أن ينزع عن إثارة هذه الفتن أذن لأحد الأنصار في قتله، ليميط عن سبيل الدعوة إلى الله حية تسعى، ويدفع عن أعراض المسلمين شعرا مقذعا.

ومن ذا يجهل أن محمدا ﷺ قد أفاض على العالم حكمة وهداية وإصلاحا، وما الحسام الذي يأمر بانتضائه إلا كمبضع طبيب ناصح يشرط به جسم العليل، لينزف دمه الفاسد حرصا على صحته وسلامته.

ومن تقصى السيرة النبوية وجد فيها ما يصدق قول عائشة – رضي الله عنها – : "ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله، فينتقم لله". [١]

فمحمد – عليه الصلاة والسلام – لم يقاتل الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون حرصا على حياته، وإنما كان يقاتلهم حرصا على حياة الفضيلة، وظهور الحق، وبسط أنوار التوحيد، وإقامة نظم المدنية المهذبة، ولكن الناشئين على اللهو واتباع الشهوات لا يفقهون. [٢]

فما الذي كان يريده المفترون على محمد ﷺ أن يفعل بعد ما ألح عليه العدوان هكذا، حتى كاد يأتي عليه.

إن الدنيا لتعرف كيف تكتّل الكفار ضده في شعب أبي طالب ذلك الحصار الاقتصادي والسياسي والاجتماعي المشهور الذي أنزل بمحمد وصحبه وبعض قرابته من الضر ما آذاهم حتى أكل بعضهم يوما من الجوع أوراق الشجر.

ولولا أن الله عطّف عليه قلوب بعض الكرام لبلغ الكفار مرادهم، مما أكره الرسول ﷺ على الإذن لصحبه بالهجرة الكبرى إلى المدينة.

---

[١] أخرجه الحاكم في مستدركه (٤٢٢٣) وأحمد في مسنده (٢٥٠٢٩).

[٢] انظر حدائق الأنوار: ١ / ٤٤ و ٢ / ٥٠٩، ومحمد رسول الله وخاتم النبيين ص ١٠٤، ومحمد رسول الله لمحمد رضا ص ٢٣٠.

ثم أدركهم بعدها صبيحة الليلة التي جمع الكفار فيها من كل قبيلة فتى، وقرروا أن ينهوا حياته بالسيف، حتى يضيع في القبائل دمه، وما تقوى على حربهم قريش.

فأي صبر كانوا ينتظرون من الرسول ﷺ فوق هذا الصبر؟ وكيف تكون الموادعة بعد هذا سبيل التفاهم من أناس رفعوا عليه السيف، ولم يحمه منه أحد غير رعاية الله له؟!

إن صبر محمد ﷺ على قومه حتى هذا المدى لهو آية الآيات على عظمة التسامح والمسالمة عند محمد، وإرخائه العنان لقوم لم يكونوا يستحقون سوى الكبريت والحطب.

لقد سالم محمد المشركين، وجاوز حدود الصبر، فما أجدت المسالمة، ولا أفاد الصبر، وأصبح الاستمرار عليهما مما لا يتفق ومنطق الحياة، ومما لا يتفق – كذلك – ومنطق النبي الذي جاء قويا كفرسان العرب، عظيما في حسبه ونسبه وفضائله، والذي جاء قبل هذا ليكون رسول حياة يخاطب أهلها بما يفهمون.

إن لقيه الناس بالإحسان فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وإن كانت الأخرى فدين محمد فيه ترياق السموم، وقرع الحديد بالفولاذ.

ومن عجب أن ما اتخذه محمد – صلوات الله عليه – سلوكا لنفسه، وطريقا لحماية دعوته منذ القرون الطوال هو نفسه الطريق الذي آثرته البشرية دون غيره لضمان البقاء.

ولو خضع الناس، وأداروا خدودهم اليسرى لمن يصفعهم على اليمنى لما قام على وجه الدنيا أحد في وجه ظالم، ولعاش الطغاة أعمارهم محفوفين بالإجلال والإعظام.

ولو قال أصحاب محمد ﷺ مقالة أصحاب موسى: {اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون} (المائدة: ٢٤) لما قُدّر للحياة أن تفيد من أسرار هذا الدين العظيم الذي لا يوجد لمشكلات عالم اليوم من حلول أفضل مما فرضها لها دين محمد ﷺ! [١]

---

[١] انظر مقال نبي الملحمة للأستاذ عبد الصبور مرزوق في كتاب محمد رسول الله لأحمد تيمور باشا ص ١٨١ – ١٨٥.

وإذا جنح – عليه الصلاة والسلام – إلى خيار الحرب، فهل يعني ذلك أن يتجرد من الرحمة، ويكون هدفه الأول والأخير سفك الدماء دون مراعاة لعهد أو حرمة؟

لا، إن الحرب في شرعة رسول الله ﷺ لها آداب، وأحكام محفوفة بالرفق، والرحمة.

فمن الرفق الذي أقام عليه الإسلام سياسته الحربية أنه منع من التعرض بالأذى لمن لم ينصبوا أنفسهم للقتال كالرهبان، والفلاحين، والنساء، والأطفال، والشيخ الهرم، والأجير، والمعتوه، والأعمى، والزمن.

ومن الفقهاء من لا يجيز قتل الأعمى، والزمن ولو كانا ذوي رأي في الحرب وتدبير.

ولا يجوز قتل النساء وإن استعملن لحراسة الحصون أو رمين بنحو الحجارة، ودليل هذا قوله –تعالى– {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا} (البقرة: ١٩٠) فجعل القتال في مقابلة القتال.

ونبه النبي ﷺ على أن من لا يقاتل لا يقتل، حين وجد امرأة في بعض الغزوات قتيلة، فأنكر ذلك، وقال: "ما كانت هذه لتقاتل"![1]

وإذا وضع المحاربون الأطفال والنساء أمامهم، وجب الكف عن قتالهم، إلا أن يتخذوا ذلك ذريعة للنصر علينا، ونخشى أن تكون دائرة السوء على جندنا.

ولا يجيز الإسلام التمثيل بالمحارب، قال ﷺ: "ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا"[2].

وخرج أبوداود وابن ماجه من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: "أعف الناس قِتلة أهل الإيمان"[3].

ويمنع من حمل الرؤوس من بلد إلى بلد، أو حملها إلى الولاة، وقد أنكر أبوبكر الصديق رضي الله عنه هذا، فقد روى البيهقي عن عقبة بن عامر الجهني أن عمرو ابن العاص، وشرحبيل بن حسنة بعثا عقبة بريدا إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه

---

[1] أخرجه أبوداود في سننه (٢٦٦٩) وابن حبان في صحيحه (٤٧٩١).

[2] رواه مسلم (١٧٣١).

[3] أبوداود (٢٦٦٦) وابن ماجه (٢٦٨١).

برأس ينان بطريق الشام، فلما قدم على أبي بكر أنكر ذلك، فقال له عقبة: يا خليفة رسول الله فإنهم يصنعون ذلك بنا.

قال أبوبكر: تأسيا أو استنانا بفارس والروم؟

لا يحمل إليّ برأس، وإنما يكفي الكتاب والخبر. (١)

وأخرج أحمد وأبوداود من حديث عمران بن حصين وسمرة بن جندب أن النبي ﷺ كان ينهى عن المثلة. (٢)

والمثلة: تعذيب المقتول بقطع أعضائه، وتشويه خلقه قبل أن يُقتل أو بعده، وذلك كأن يجدع أنفه، أو تصلم أذنه، أو تفقأ عينه، وما أشبه ذلك من أعضائه. (٣)

ولم يشرع الإسلام للأسير حكما واحدا، بل جعل أمره موكولا إلى الأمير الذي يقدر مصلحة الحرب، وله أن يخلي سبيله بفداء، أو بغير فداء.

ومن أدب الحرب في الإسلام الوفاء بتأمين المحارب، فإذا أعطى أحد الجند الأمان لأحد المحاربين – وجب احترام هذا التأمين، ولا يجوز لأحد أن يتعرض لذلك المحارب بأذى.

وإلى هذا يشير قوله – صلوات الله عليه - : "ويسعى بذمتهم أدناهم". (٤)

وقد أمضى النبي ﷺ تأمين أم هانئ بنت أبي طالب لرجل من المشركين، وقال لها: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ". (٥)

وحدث في عهد عمر بن الخطاب أن عبدا أمن أهل بلد بالعراق، فكتب قائد الجيش وهو أبوعبيدة إلى عمر يأخذ رأيه في هذا التأمين، فكتب إليه عمر: "إن الله عظّم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا، فوفوا لهم، وانصرفوا عنهم". (٦)

---

(١) سنن البيهقي ٩ / ١٣٢، قال في تلخيص الحبير ٤ / ٢٨٨: "إسناده صحيح".

(٢) المسند ٤ / ٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٦٠، وأبوداود (٢٦٦٧).

(٣) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب (١ / ٣٩٠ – ٣٩٢).

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢٦٢٣) وأخرجه أبوداود في سننه (٤٥٣٠).

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٠ و ٣٠٠٠ و ٥٨٠٦) ومسلم (٣٣٦).

(٦) تاريخ الطبري ٣ / ١٨٨ .

ومن آداب الحرب في الإسلام، ومما يُجلي معنى الرفق والرحمة مجاملة رسل العدو، وترك التعرض لهم بأذى، فقد يأتي رسول العدو في شأن الصلح أو غيره مما فيه تخفيف شر الحرب، فمن حسن الرأي أن لا يتعرض للرسل بأذى، وأن يكونوا في أمن حتى يعودوا إلى قومهم، فإن التعرض لهم بأذى يقطع صلة الرسالة بين الفريقين، ويسد طريق المفاوضات التي يُتوسّل بها إلى عدم الدخول في الحرب، أو إنهائها إذا كانت ناشبة.

ومكارم الأخلاق تأبى أن يُتعرَّض لرسول بأذى ولو أرسله قومه لإبلاغ ما عزموا عليه من محاربتنا، أو صدر منه كلام في تعظيم أمر قومه بقصد الفخر أو الإرهاب.

وقد جرى نظام الإسلام في الحرب على هذا الأدب المقبول. [1]

قدم أبو رافع بكتاب من قريش إلى رسول الله ﷺ فلما رأى رسول الله أُلقِيَ في قلبه الإسلام، فقال: يا رسول الله! إني – والله – لا أرجع إليهم أبدا، فقال رسول ﷺ: "أما أني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البُرُد، ولكن ارجع فإن كان في قلبك الذي في قلبك الآن، فارجع".

قال: فرجعت، ثم أقبلت إلى رسول الله ﷺ، وأسلمت. [2]

هذه نبذة من خلق الرحمة التي كانت تصاحب النبي ﷺ في حروبه، تلك الرحمة التي غيّرت نظرة الناس من بعده للحرب، إذ نظرتهم تعني أن مبدأ الشفقة مناقض للحرب التي تعني الكلوح، والعبوس، والقسوة بكل حال.

وبخاصة ما نراه اليوم من حروب هذا العصر التي تأكل الأخضر واليابس، وتتسم بالوحشية، ولا تعرف الرحمة لا في أثنائها ولا بعد نهايتها.

غير أن الناظر في تاريخنا المجيد، وسيرة نبينا الأعظم يجد هذا المعنى لائحا واضحا – كما مر – ويراه – كذلك – بعد نصره ﷺ، وتمكنه من الأعداء الذين ناصبوه العداوة، ولم يدعوا طريقا في سبيل إيذائه إلا وسلكوه.

---

[1] انظر رسائل الإصلاح ١ / ١١٧ – ١١٨، وآداب الحرب في الإسلام للشيخ محمد الخضر حسين ص ٤٥.

[2] أخرجه الحاكم في مستدركه (٦٥٣٨) أبوداود في سننه (٢٧٥٨) وأحمد في مسنده (٢٣٩٠٨).

وإذا أردت مثالا يثبت فؤادك فانظر إلى ما كان منه – عليه الصلاة والسلام – يوم فتح مكة الذي حصل بعد صراع مرير، وبعد أن فعلت قريش بالنبي ﷺ وأصحابه ما فعلوا.

فعندما انتصر عليهم، وأحاط بهم إحاطة السوار بالمعصم، وظنت قريش الظنون، لعلمهم بسوء صنيعهم السابق، وحسبوا أنه سيدخل مكة دخول الجبابرة والطغاة مزهوا منتقما – فاجأهم بأن جاء متواضعا متخشعا لربه، غير مزهو بنصره، ولا شامت بأعدائه.

وعندما رأى قريشا وهم يتوقعون الإجهاز عليهم، ورأى جموع الصحابة وعيونهم تتلمظ تلمظ الحيات وهم ينتظرون أدنى إشارة منه أشار النبي ﷺ حتى يبيدوا خضراء قريش – قال النبي – عليه الصلاة والسلام – مخاطبا قريشا: "ما تظنون أني فاعل بكم"؟

قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: "فاذهبوا فأنتم الطلقاء". [1].

ولقد كان لتحلِّي المسلمين بأدب الحرب من الرحمة والسماحة أثر بالغ في نفوس كثير من أعدائهم، حيث أعجبوا بدين الإسلام، ونبيّه، ورحمة أهله، وحسن معاملتهم.

بل لقد وجدوا عدلا ورحمة لم يجدوها عند بني ملتهم، مما حدا بكثير منهم إلى الدخول في الإسلام، والحوادث في هذا السياق لا تكاد تحصى. [2]

---

[1] انظر سنن البيهقي الكبرى ٩ / ١١٨، وفتح الباري لابن حجر ٨ / ١٨.

وما مضى من أحكام الحرب وآدابها إنما هو نزر يسير مجمل، أما تفاصيل ذلك، واستثناءاته وأحكامه فهي مبثوثة في التفاسير، وكتب الفقه، وشروح الحديث، والكتب التي أفردت في الحرب، والجهاد، وما إلى ذلك.

انظر المبسوط للسرخسي ١٠ / ٥، وشرح فتح القدير لابن الهمام ٤ / ٩٠، والمغني لابن قدامة ٩ / ٣٢٦، وروضة الطالبين للنووي ١٠ / ١٥٠، وآداب الحرب للشيخ محمد الخضر حسين، وقواعد الحرب في الشريعة الإسلامية للشيخ عواض الوذيناني.

[2] ومن الأمثلة على ذلك أن كثيرا من زعماء الصليبيين، وكثيرا من عامتهم الذين قطعوا الأرض لقطع رقاب المسلمين – ارتموا في أحضان الدعوة الإسلامية التي غامروا كل مغامراتهم للقضاء عليها منذ أول تعارف، ذلك هو أعجب آثار التسامح! =

فقد أسلم في الحرب الصليبية الأولى ممن أسلم (رينود) أمير طوائف الجرمان واللمبارديين، وأسلم معه خلق كثير منهم.
وأسلم في الحرب الصليبية الثانية خلق كثير، كما يروي السير توماس عن راهب من رهبان سنت دنيس كان قسيسا في المعبد الخصوصي للملك لويس السابع، ورافقه في هذه الغزوة طائفة كبيرة، وإليكم ما يقوله الراهب في عبارة شائقة:
"وفي طريق الصليبيين إلى المقدس، عبر جبال الأناضول التقوا بجيش المسلمين، فهُزم الصليبيون شر هزيمة.
وكان في الممرّ الجبلي (فريجيا) وذلك سنة ١١٤٨م، ولم يصلوا إلى مرسى (أضاليا) إلا بشق الأنفس، ومنها استطاع القادرون بعد تلبية طلبات التجار اليونانيين الباهظة أن يرحلوا إلى أنطاكية بحرا، وقد دفعوا مبالغ طائلة، وتركوا خلفهم الجرحى، والمرضى، والحجاج، فدفع كذلك لويس خمس مائة مارك لليونانيين على أن يعنوا بهؤلاء الضعفاء حتى يشفوا، وعلى أن يرافقهم حرس اليونان حتى يلحقوا بمن سبقهم، فما كان من اليونان الغادرين إلا أن تربصوا حتى تباعد جيش الصليبيين، واتصلوا بالمسلمين الأتراك، وأخبروهم بما عليه الحجاج والجرحى، ممن تخلفوا من الوهن والعجز، ثم قعدوا ينظرون إلى إخوانهم في الدين ينال منهم البؤس، والمرض، وسهام المسلمين.
ولما ضاق الصليبيون المتخلفون ذرعا بما أصابهم خرج ثلاثة آلاف أو أربعة من قلعتهم محاولين النجاة بأنفسهم، فحصرهم المسلمون، وشدوا عليهم، ثم حملوا على المعسكرات الصليبية، وكان حال من خرج ومن بقي في المعسكر ليس فيه أقل رجاء، ولم ينقذوا إلا بما نزل في قلوب المسلمين من الرحمة، حين اطلعوا على ما فيه عدوهم من بأساء، وما أصابهم من ضراء رقت قلوبهم، وذابت نفوسهم، رحمة لأعدائهم الصليبيين المساكين، فواسوا المريض، وأحسنوا للفقير، واطعموا المسكين بسخاء وكرم، وبلغ من إحسانهم أن بعضهم استردّ بالشراء أو الحيلة أوالقهر النقود الفرنساوية التي أخذها اليونان من الحجاج، وردها عليهم، ووزعها على المحتاجين من الصليبيين.
وقد كان الفرق واضحا بين معاملة هؤلاء الكفار – يقصد المسلمين – للحجاج المسيحيين، ومعاملة اليونان الذين سخروا إخوانهم في الدين، ونهبوا أموالهم وضربوهم.
كان الفرق عظيما لدرجة حملت الصليبيين على اعتناق دين الأعداء المنقذين، ومن غير أن يكرهوا أو يقهروا.
لقد فرّوا من إخوانهم في الدين الذين أساؤوا إليهم، فلحق ثلاثة آلاف بالجيش الإسلامي بعد أن رجع عنهم ودخلوا في دينه.
لقد كانت الرحمة أشد قسوة من الخيانة!
لقد أعطاهم المسلمون الخبز وسلبوهم الإيمان، واحسرتاه!
لقد ارتدوا عن المسيحية من غير أن يجبر واحد منهم على ترك دينه".
ذلك ما يقوله الراهب!
ولقد بلغ تأثير الإعجاب بشجاعة صلاح الدين وفضائله في الصليبيين، أن كثيرا من أمرائهم وعامتهم المعجبين به ذهب بهم هذا الإعجاب إلى ترك دينهم وأهلهم، والدخول في الإسلام. =

مثل ذلك ما فعل الزعيم الإنجليزي (روبرت سنت أليان) وكان ذلك قبل انتصار صلاح الدين في معركة حطين الفاصلة التي وقع فيها ملك القدس (جاي) أسيرا.

ويقول بعض مؤرخي النصارى: إن ستة من أمراء هذا الملك استولى عليهم الشيطان ليلة المعركة، فأسلموا، وانضموا إلى صفوف الأعداء دون أن يقهروا من أحد على ذلك.

وقد وصل الأمر (بريمون الثالث) أميرطرابلس الشام أن اتفق مع صلاح الدين على أن يدعو قومه إلى الإسلام.

وحتى بعد صلاح الدين، لما قام الصليبيون بحربهم الثالثة انتقاما لسقوط بيت المقدس، وحاصروا عكا، وأصابتهم البأساء، وعضهم الجوع – فرّ كثير إلى صفوف المسلمين، فمنهم من آمن، ومنهم من رجع إلى قومه، ومنهم من استمر على نصرانيته، واختار البقاء وأن يقاتل في صفوف المسلمين.

وفي هذا المعنى يقول السير (جون ما ندفيل) أحد المعاصرين للصليبيين: "كان بعض المسيحيين يرتدون عن دينهم، ويصيرون عربا، لفقرهم، أو غباوتهم، أو شقاوتهم".

ولا ينتظر – بالطبع – من صليبي كالسير جون أن يفسر ما يسميه المسلمون بالهداية إلا بالغباوة والشقاوة.

والذي يعنينا من الأمر أن الفقراء والأغبياء والضالين الذين ذكرهم السير ما ندفيل دخلوا في الإسلام الذي جاؤوا لمحوه مختارين، واجتذبوا إليه بالدعوة والإرشاد لا القهر والاضطهاد، بل إن بعض المؤرخين المسيحيين المعاصرين للفتح الإسلامي واسترداد بيت المقدس، وبعد ذلك بكثير بعد انهيار دول الفرنجة في الشام كلها يشيرون إلى فرح النصارى بالتحرر من حكم الصليبيين.

ويقول السير توماس في هذا المعنى: "لقد سكنوا إلى الحكم الإسلامي وادعين مستبشرين، كما استمر الحكام المسلمون على عادتهم القديمة من التسامح، وسعة الصدر لأهل الملل الأخرى".

يقول الأستاذ عبد الرحمن عزام رحمه الله في كتابه (بطل الأبطال): "وإذا كان ما ذكرنا هو بعض الشواهد على انتشار الدعوة المحمدية بالحجة بين أشد خصومها المحاربين، وفي أحلك أيام الدولة الإسلامية أيام غارات الصليبيين والتتر – فإن لنا شاهدا آخر من بطريق خراسان في أعز أيام الدولة الأموية العربية، نختتم به هذا الفصل، يقول البطرق (يوساب الثالث) اليعقوبي في خطاب طويل بعث به لحبر زميل: "أين أبناؤك أيها الأب! أين هذا الشعب العظيم شعب مرو! لم تصبهم جائحة، ولا سقطوا للسيف، ولا عُذبوا بنار، وإنما أصابهم متاع الدنيا، فارتدوا عن دينهم، وقذفوا بأنفسهم كما يقذف المجانين في مهاوي الهلاك والكفر، فلم ينج من هذا السعير إلا قسيسان اثنان فرّا بنفسيهما من جحيم الكفر – أي الإسلام – واحسرتاه على الآلاف المؤلفة الذين حملوا اسم المسيحية وصفتها، ولم يقع منهم شهيد واحد، ولا ضحى واحد منهم لدينه !!

أين كذلك بيع كرمان، وكنائس فارس!

لم يكن قدوم شيطان، ولا ملك، ولا أمير، ولا أمر خليفة أو سلطان هو الذي قضى عليها.

لم يكن ساحرا موهوبا أوتي المنطق، وسلطة الشيطان على النفوس، ولكنه ساحر هز رأسه فقط، فخرت كنائس فارس كله على الأرض! =

وإن تعجب بعد هذا كله فاعجب من صنيع كثير من الظالمين البعيدين كل البعد عن العدل، وحقائق التاريخ، ممن يصفون دين الإسلام ونبيه وأهله بالقسوة والهمجية، والتطرف والإرهاب إلى غير ذلك مما هو محض افتراء، ومحاولة للصد عن دين الإسلام.

والحقيقة الماثلة للعيان تقول بأن الإسلام دين الرحمة، والرفق، والتسامح، فماذا فعل المسلمون حين انتصروا على خصومهم؟ هل تكبروا، وتسلطوا، واستبدوا؟ وهل انتهكوا الأعراض، وقتلوا الشيوخ، والنساء، والأطفال؟

ماذا فعل النبي ﷺ عندما انتصر على خصومه الذين كانوا يؤذونه أشد الأذى؟ ألم يكن يصفح عنهم؟ ويمنّ عليهم بالسبي والأموال؟

وماذا فعل المسلمون عندما انتصروا على كسرى وقيصر؟ هل خانوا وغدروا؟ هل تعرّضوا للنساء؟ وهل أساؤوا للرهبان في الأديرة؟ وهل عاثوا في الأرض فسادا؟ وهل هدموا المنازل، وقطعوا الأشجار؟

وماذا فعل صلاح الدين لما انتصر على الصليبيين الذين فعلوا بالمسلمين الأفاعيل، ونكّلوا بهم أيما تنكيل؟ فماذا فعل بهم صلاح الدين لما انتصر عليهم؟ ألم يصفح عن قائدهم؟ ويعالجه؟ ويطلق سراحه؟

وماذا كانت أحوال أهل الذمة في بلاد المسلمين عبر العصور المتطاولة إلى يومنا هذا؟ ألم يكونوا ينعمون بالأمان، والعدل، والإحسان؟

ألم يجدوا من عدل المسلمين وإحسانهم ما لم يجدوه من بني جلدتهم؟

فهذه المواقف النبيلة وأمثالها كثير في تاريخ المسلمين، مما كان له أبلغ الأثر في محبة الناس للإسلام، والدخول فيه عن قناعة ويقين.

أفغير المسلمين يقوم بهذا؟ آلغرب يقدم مثل هذه النماذج؟

=أما العرب الذين آتاهم الله ملك الدنيا كما تعلم – فإنهم عندك كذلك – فلم يطعنوا في ديننا، ولا اعتدوا على بيعنا، بل بالعكس ضالعوا مع ديننا، وفضّلوه على غيره، وأكرموا رهباننا وقساوستنا، واحترموا أولياءنا، وأحسنوا الهبات إلى معابدنا، فلماذا – إذا – هجر أهل مرو نصرانيتهم زلفى لهؤلاء العرب، وهم يعلمون ويقولون: إن العرب ما طلبوا منهم تغيير دينهم، بل أقرّوهم عليه كاملا، ولم يسألوهم إلا ضريبة بسيطة يؤدونها عن أنفسهم، ولكنهم اشتروا خلود أرواحهم في دين المسيح بمتاع قليل؟!".

انظر الرسالة الخالدة لعبد الرحمن عزام ص ٣١٣ – ٣٢٠.

الجواب ما تراه، وتسمعه، فمن أين خرج هتلر، وموسوليني، ولينن، وستالين، ومجرمو الصرب؟ أليست أوربا هي التي أخرجت هؤلاء وأمثالهم من الشياطين الذين قتلوا الملايين من البشر، ولاقت منهم البشرية الويلات إثر الويلات؟

ألا يعد أولئك هم طلائع حضارة أوربا؟ فمن الهمج القساة العتاة إذا؟

ومَنِ المتطرفون الإرهابيون حقيقة؟

ثم مَنِ الذين صنعوا القنابل النووية، والعنقودية، والذرية، والجرثومية، وأسلحة الدمار الشامل؟

ومن الذين لوّثوا الهواء بالعوادم، والأنهار بالمبيدات؟

ومن الذين يسلكون الطرق القذرة التي لا تمت إلى العدل، ولا إلى شرف الخصومة بشيء؟

من الذين يعقّمون النساء؟ ويسرقون أموال الشعوب وحرياتهم؟ ومن الذين ينشرون الإيدز؟

أليس الغرب، ومن يسير في ركابهم؟

ومن الذي يدعم اليهود وهم في قمة التسلط والإرهاب؟

وماذا حصل في محاكم التفتيش، وما أدراك ما محاكم التفتيش؟

وماذا حصل في بعض السجون كأبي غريب وغيره مما يندى له الجبين؟

هذه هي الحقيقة الواضحة، وهذا هو الإرهاب والتسلط.

ولا يعني ذلك بحال من الأحوال أن يكون غير المسلمين على سنة واحدة من الظلم والتسلط والجبروت، لا بل إن فيهم من هو قائم بالعدل، بعيد عن الظلم.

أما جهاد المسلمين لإحقاق الحق، وقمع الباطل، ودفاعهم عن دينهم، وأنفسهم وبلادهم فليس إرهابا، وإنما هو العدل بعينه.

وما يحصل من بعض المسلمين من الخطأ في سلوك سبيل الحكمة فقليل لا يكاد يذكر بجانب وحشية الغرب، وتبعته تعود على من أخطأ السبيل، ولا تعود على الدين،

ولا على المسلمين، ولا يُقر عليها من قام بها، بل إن أهل الإسلام ينكرون مثل ذلك أشد الإنكار.

وهكذا ينبغي للعاقل المنصف، أن ينظر إلى الأمور كما هي بعيدا عن الظلم والتزوير والنظرة القاصرة.

وبعد هذا فإن كان للإنسان من عجب فإنه من الأوربيين، والأمريكان، حيث لم يكتشفوا حقيقة الدين الإسلامي وعظمة نبيه فيما اكتشفوه، وهو أجل من كل ما اكتشفوه، وأضمن للسعادة الحقيقية من كل ما وصلوا إليه، فهل هم جاهلون بحقيقة الإسلام حقا؟ أو أنهم يتعامون ويصدون عنه؟!

إن كانت الأولى، فهي مصيبة، وإن كانت الثانية فمصيبتان!



المستشرق الأمريكي الكبير "وانشنجتون ايرفنج":

"كانت تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو". (واشنجتون ايرفنج: حياة محمد، ص: ٧٢)

مثلان من مقدرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الإقناع

د. عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي

١ – روى ابن هشام : عن أبي سعيد الخدري قال: لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثُرت منهم القالة، حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطاء عظاما في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، قال: فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة.

قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا له أتاه سعد، قال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم صلى الله عليه وآله وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال: "يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها علي في أنفسكم، ألم آتكم ضُلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ "، قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل، ثم قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل، قال صلى الله عليه وآله وسلم: "أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم، ولصُدِّقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعة [1] من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب

---

[1] هي: البقية اليسيرة من الشراب في الإناء.

الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شِعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار".

قال: فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسما وحظا، ثم انصرف رسول الله ﷺ ، وتفرقوا [١].

وقال الحافظ ابن كثير بعد ما ذكره: وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه، وهو صحيح [٢].

في هذا الخبر مواقف : منها:

أولا: ما قام به النبي ﷺ من إقناع الأنصار رضي الله عنهم، وذلك ببيانه البديع الذي غيّر به مشاعرهم، وذلك بعد ما بيّن بأسلوبه الرائع السبب الذي من أجله تصرف ذلك التصرف في قسمة الفيء ، والأمر الذي كان غائبا عن الأنصار تصوره، فلما فهموا مراد النبي ﷺ اقتنعوا حالا، وعلموا أنه ما تركهم إلا إعلاء لشأنهم واعتقادا منه بعلو كعبهم في الإيمان بهذا الدين.

ومن هنا نعلم أن الخطأ في تصور الأمور على حقيقتها والقصور في إدراك المقاصد قد يتعرض له بعض أقوياء الإيمان مما ينجم عنه اعتراض على تصرفات القادة، الأمر الذي قد يترتب عليه الخلل في سير العمل، ولكن سرعان ما يزول هذا التصور الخاطئ وتعود المياه إلى مجاريها إذا وُفّق المسلمون بالقادة الحكماء الذين يزنون الأمور ويضعونها في مواضعها.

---

[١] سيرة ابن هشام: ٤ / ١٧٥ – ١٧٨، وأخرجه الإمام البخاري وذكر نحوه، صحيح البخاري، المغازي (٨ / ٤٧)، رقم ٤٣٣٠، وأخرجه الإمام مسلم، وذكر نحوه، صحيح مسلم، الزكاة، رقم ١٠٥٩، (ص : ٧٣٣)، وأخرجه الواقدي وذكر نحوه، مغازي الواقدي: ٣ / ٩٥٦ – ٩٥٨.

[٢] البداية والنهاية: ٤ / ٣٥٧، ٣٥٨.

ولقد قدّم النبي صلى الله عليه وسلم لبيان السبب في إعطاء تلك العطايا الكبيرة في بعض زعماء القبائل بمقدمة بيّن بها فضل الأنصار، كما ختم كلمته ببيان فضلهم والدعاء لهم ولذرياتهم، ولقد وفق ﷺ تمام التوفيق في إقناع الأنصار بوجهة نظره، فتغيرت مشاعرهم وملامحهم من إضمار السخط وإظهار النقد إلى إضمار الرضى وإظهار الفرح والسرور والتأثر البالغ مما صدر منهم، الذي عبّروا عنه بالدموع الغالية التي انسكبت على لحاهم، وبقولهم: رضينا برسول الله ﷺ قسما وحظا، رضي الله عنهم أجمعين.

ثانيا: موقف يذكر لسعد بن عبادة رضي الله عنه حينما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، فهذا يدل على اتصافه بخلق الصراحة والصدق، فهو لم يبرئ نفسه من الموجدة على رسول الله ﷺ مع علمه بأنه يكره ذلك ما دام أنه قد أضمر في نفسه هذا الأمر.

وقد جاء في إحدى روايات مسلم، فقال: يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما الذي بلغني عنكم؟" قالوا: هو الذي بلغك، وكانوا لا يكذبون.

وهكذا كانت أخلاق الصحابة رضي الله عنهم قائمة على الصدق والوضوح والصراحة، بينما نجد الحال الآن من أبناء الدنيا يشاركون في الإنكار على المسؤول، ثم يجاهرونه بغير ما يضمرونه في أنفسهم خشية إثارة نقمته أو التعرض لسخطه.

٢ – قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس، ومعه من هوازن سبي كثير، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله، ادع عليهم، فقال رسول الله ﷺ: "اللهم اهد ثقيفا وائت بهم"، ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يُدرى عدته.

قال ابن إسحاق: حدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو: أن وفد هوازن أتوا رسول الله ﷺ وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أهل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخفَ عليك، فامنن علينا، منَّ الله عليك، قال: وقام رجل من هوازن، ثم أحد بني سعد بن بكر، يقال له زهير، يُكنى: أبا صرد، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا للحارث بن أبي شمر، أو للنعمان بن المنذر[1]، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين.

قال ابن هشام: ويُروى: ولو أن مالحنا الحارث بن أبي شمر، أو النعمان بن المنذر.

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جده عبدالله بن عمرو، قال: فقال رسول الله ﷺ "أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟" فقالوا: يا رسول الله، خيّرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل تردّ إلينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا، فقال لهم: "أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس، فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم"، فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به فقال رسول الله ﷺ: "أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم"، فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

قال: يقول عباس بن مرداس لبني سليم: وهّنتموني.

---

[1] يعني: لو كان أحدهما رضع فينا كما رضعت.

فقال رسول الله ﷺ: "أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي أصيبه، فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم" [١].

في هذا الخبر مواقف، منها:

أولا: سياسة النبي ﷺ الحكيمة وحسن تصرفه ومقدرته على الإقناع، فقد جاء إليه وفد من قبيلة هوازن التي نُكبت في نسائها وأبنائها وأموالها، جاؤوا إليه مسلمين راغبين في فكاك أسراهم وإعادة أموالهم إليهم، فخلّص لهم النبي ﷺ نساءهم وأبناءهم من الرق في موقف واحد وكلمات معدودات، من غير أن يغتصب هذا من المسلمين الغانمين بعدما امتلكوه، بل بحسن السياسة والقدوة الحسنة والتدبير المحكم.

إن تصرف النبي ﷺ يُعد مثالا عاليا للتربية بالقدوة الحسنة، فقد ضرب المثل في البذل والتضحية بنفسه وقرابته الأدنين، ولسان حاله يقول: ارتفعوا أيها المسلمون إلى هذا المستوى العالي الذي رفعت إليه نفسي وقرابتي، ولاشك أن هذا من أبلغ الأساليب في التأثير على النفوس، خاصة إذا صدر ممن هو محط الأنظار وموضع القدوة.

ولقد نجح النبي ﷺ نجاحا كبيرا، حيث حل هذه القضية المشكلة بعد صلاة الظهر في كلمات ... نجح حينما حمل أكثر المسلمين على التنازل عما في أيديهم من الأسرى تأسيا به ﷺ ، ونجح حينما حل مشكلة المتمنعين المتمسكين بما في أيديهم، حيث ألزمهم بتسليم ما في أيديهم من الأسرى في مقابل ستة أسهم من أول فيء يفيئه الله تعالى عليه، فهو في هذه الحال لم يقرّ التفرقة بين الأسرى، بحيث يعتق فريق ويبقى فريق على الرق، ولم يجبر أصحاب الحق على تسليم ما في أيديهم بدون مقابل، بل أعطاهم ما أرضاهم مقابل حقهم.

---

[١] سيرة ابن هشام: ٤ / ١٥٦ – ١٥٩، وأخرجه الإمام البخاري من حديث مروان والمسور بن مخرمة مختصرا، صحيح البخاري، المغازي: ٨ / ٣٢ – ٣٣، رقم: ٤٣١٨، ٤٣١٩، وأخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو، ذكره الهيثمي وقال: رجال أحد إسناديه ثقات: ٦ / ١٨٨، وأخرجه الواقدي عن شيوخه، وذكر نحوه، مغازي الواقدي: ٣ / ٩٤٩ – ٩٥٢.

فما أحكم هذه السياسة! وما أعظم هذه القدوة! وما ألطف هذا التدبير!

ثانيا: موقف جليل للصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار وبني سليم، حيث تنازلوا حالا عما في أيديهم من الأسرى تأسيا برسول الله ﷺ وبني عبد المطلب، وهذا دليل على قوة إيمانهم وتجرّدهم من حظ النفس وتنافسهم في الخير وعمل الآخرة.

ومما يلاحظ أنهم بادروا إلى هذا العمل الصالح من غير تردّد، وكان السابقون إلى التنازل هم المهاجرون وهذه منقبة تذكر لهم.

كما أنه يلاحظ أن هذه الطوائف كانت متحدة الكلمة فيما بينها، حيث لم يقم أحد من الأتباع يخالف ما أمضاه السادة الذين يتكلمون عادة بلسان قومهم، وهذه فضيلة تذكر لهؤلاء الأماجد الكرام، إلا ما كان من بني سليم وزعيمهم، فقد تداركوا الموقف وخالفوه ووافقوا المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين.



شهادة العالم الأمريكي المعاصر "مايكل هارت":

إن اختياري محمدا ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ ربما أدهش كثيرا من القراء إلى حد قد يثير بعض التساؤلات، ولكن في اعتقادي أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي". (مايكل هارت: المائة الأوائل، ص ٢٩)

الإسلام هو الدين النافع
الذي انتفعت به أمم العالم بالواسطة

العلامة القاضي سليمان سلمان المنصورفوري

الإسلام دين علّمه رحمة للعالمين، ولذا وجب أن تكون أحكامه رحمة للأمم ولأهل العالم. ولو كانت أحكام النبي ﷺ مختصة بالمسلمين لصعب انتفاع الأمم الأخرى بها.

ولكن التاريخ يدلنا على أن الإسلام منذ أن عمم تعليمه وقدم إلى الصديق والعدو مائدة النعمة ودعاهم إليها، بدأ انتفاع الأمم بها وإن ادعت ابتعادها عن الإسلام.

كان المجوس يعتقدون منذ العهد القديم أن (يزدان) خالق النور، و (أهرمن) خالق الظلمات، ولم يكونوا يرون بأسا من الاعتقاد في أحد بأنه خالق مثل يزدان.

وكانت جنود يزدان وأهرمن متقاتلة فيما بينها دائما [(١)]، كما رأينا في (آريه ورت) أن آلهة الخير وآلهة الشر كانت تتحارب وتتجادل دائما، ولكن أهل الديانتين يعترفون اليوم بتفوق يزدان على أهرمن، وتفوق آلهة الخير على آلهة الشر [(٢)].

وكان المجوس قد تخلوا منذ مدة عن حدود المحرمات الأبدية، فكان بهمن والد الملك داراب، وهو كان جده من أمه أيضا، فإن أم داراب، واسمها هما، كانت بنت بهمن نفسه.

لم يعترض أهل البلاط الإيراني على هذه القرابة ولا على وارث الحكم بها، ولم يتعجب شعب إيران من هذا الموقف، بل وضع تاج بهمن بعد موته على بطن بنته هما، وأقر الناس بالملك لمن لم يولد بعد راضين طائعين [(٣)].

---

(١) الملل والنحل على هامش الفصل في الملل (٢ / ٧٢).

(٢) انظر المواضع المتفرقة من الباب الحادي عشر من ستيارتهـ بركاش.

(٣) الطبري (٢ / ٣).

ولما سقط دارا بن داراب جريحا بأيدي الجيش اليوناني وكاد أن يلفظ أنفاسه الأخيرة وصل إليه الإسكندر بن فيلب، فأخذ رأسه ووضعه في حجره، وهنا باح دارا بوصيته للإسكندر، وهي أن يتزوج الإسكندر روشنك بنت دارا التي كان دارا يربيها لنفسه، فالجدير بالتفكير أن دارا نفسه اعترف بأنه كان يربي بنته لنفسه، وذلك في أحرج ساعة من حياته. وهذا يدل على أن هذه العادة القبيحة كانت عامة في إيران، ولشيوعها لم يستحي الناس ولم يتحرجوا من ذكرها ومن العمل بها. [١]

والمزدكية لاقت القبول السريع في إيران وانتشرت بمجرد أن الناس كانوا قد فقدوا احترام المحرمات الأبدية من ذي قبل. فالمزدكية ترى أن المرأة لا تنسب لرجل معين، بل لكل واحد أن يتمتع بأي امرأة شاء. [٢]

وقد أورد البندت ديانند سرسوتي عند ذكر فرق الهندوسية في كتابه "سيتارتهـ بركاش" أسماء (وام ماركي وجكرانت وغيرها) ومنها أسماء قذرة لا يستطيع المسلم أن يخطها بقلمه.

ويوضح هذا البيان أن الهند تفوقت على إيران في هذه الإباحية، فلا يزال يوجد في مدينة مقدسة مثل كاشي معبد يعرف باسم (الحلقة النيبالية) انه يدعو الزوار إليه بارتفاع نحو ١٥٠ قدما، أن أشعة الشمس الساطعة تنور التماثيل التي عجزت عن تقليدها باريس ونيويارك، والبراهمة يعبدونها، ويشرحون كل تمثال منها بألسنتهم دون مبالاة باستحياء السامع، وينطقون بكلمات تصم آذان الإنسانية وتعمي أبصارها ([٣]).

والمؤرخ العادل يعترف بأن الإسلام ارتفع بإيران من تلك اللعنات، وهو الذي منح الهنود أبصارا وآذانا.

والإسلام هو الذي قضى على المشاهد المفزعة في مسرحيات (ايمفي) بدولة روما التي عرفت بقساوة القلب ووحشية الذئاب.

وهذه الحقائق تبرهن على أن الإسلام لعب دورا هاما في رفع تفكير هذه الأمم وتطهير عقولها ونشر الحضارة بينها.

---

[١] الطبري (٢ / ٧).

[٢] الملل على هامش الفصل (٢ / ٨٦).

[٣] ستيارتهـ بركاش (ص ٣٦٥) وما بعد (الباب الحادي عشر).

كان بنولاوى من اليهود قد خصصوا لأنفسهم حقوقا في قرابين النذور والخطايا والقربات.

وكان بابا روما خليفة بطرس قد خصص لنفسه مفاتيح أبواب ملكوت السماء، فيفتحها لمن شاء وأقفل على من شاء.

وكان البراهمة ادعوا لأنفسهم قوة إدخال أرواح الموتى في دار الرحمة أو العذاب.

والإسلام هو الذي أنقذ الناس من هذه المهالك والمخازي، فبتعليمه انفصلت السامرية عن بني لاوي، وتنفر البروتستانت من الكاثوليك الرومان، وكره الآريون باباوات البراهمة.

ومن يرفض هذه الحقيقة هل يستطيع إثبات سبق هذه الإصلاحات على ظهور الإسلام؟ وهل يستطيع أن يبرهن على أعمال الإسلام العلمية والعملية لم تكن أمام عيونهم وقلوبهم قبل الحصول على هذه الحرية؟

والحقائق المذكورة تدل على أن الإسلام أفاد سكان أوربا وآسيا رقي الفكر وحرية الشعور والتفرقة بين النافع والضار.

يسمي اليهود الملك زوج مائة امرأة وحيد الإله. ويصف بنو إسرائيل الملك صاحب ألف امرأة بأن قلبه يشبه قلب الله. ويمدح الهنادك (كرشن) الذي كان يداعب ١٦ ألف امرأة بأنه صاحب ست عشرة زينة. ويعتقد الآرية ورت أن (دروبدي) وحدها كانت زوجة شرعية لستة من الباندو، فعليهم أن يفكروا كيف أن أفكارهم استقامت في تعدد الزوجات. وهل يزعم أحد أن ذلك ناشيء بتعليم النصرانية أو سلوك النصارى؟ كلا، فإن النصرانية ساكتة في التعدد، ونموذجها العملي نتيجة القانون الشرعي الذي تأخر كثيرا عن الحكم الإسلامي، وفرض على الأوربي ذي الدم البارد الاكتفاء بزوجة واحدة. ولو رجعوا إلى التاريخ لوجدوا أن القرآن نطق بقوله {فواحدة}[1] قبل تنفيذ ذلك القانون بكثير، فحرك قلب كل عاقل لسن مثل هذا القانون.

---

[1] سورة النساء (٤ / ٣).

وبهذه النظائر يجب الاعتراف بأن الإسلام قد منح جميع الأقوام بركات كثيرة بواسطة.

كان الفرس يفتخرون بكأس (جم) المملوءة خمرا ، ويرون الكأس المسكرة كأس تصوير العالم.

وكان الآريون يشربون الخمور المقدمة على الآلهة نذرا.

وكان النصارى يحكون باعتزاز فعل عيسى بتحويل آنية الماء إلى جرات الخمر.

وكان البولوسيون يمنعون استعمال الماء الخالص، ويلزمون مزجه بقليل من الخمر.

وكان الإيطاليون والعرب والإفريقيون يحمون ساحات الحرب بحرارة الخمر.

وكان الروم قد تخلوا عن مسؤولية القيادة مقابل جرعة واحدة للخمر من قلوبطرة.

فهل ينكر أحد من هؤلاء معروف الإسلام الذي أسداه إلى أمم العالم وأديانه بتحريمه الخمر؟ كلا ثم كلا ، إن الإسلام هو الذي جعل الخمر أم الخبائث. ووصفها بعدو الروحانية ومبعث الشر والعداء. وهو الذي جعلها من عمل الشيطان وإبليس وأهرمن.

وفي الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨م) اضطرت إنجلترا وروسيا وأمريكا، واحدة بعد الأخرى، إلى تركها. أفليس هذا كله من فيوض الإسلام غير المباشرة؟

كان سكان آريه ورت يخصون الملوكية بأولاد (بهارت الأعظم) ومن هنا أراقوا دماء الهنود كلهم في أرض (كوروكشتير).

وكان المجوس يصفون (كيان إيران) بشأن الملكية ، ومن هنا قضوا على حكومات التتار واليونان وبابل.

وكان الصينيون يصفون أسرة (شو) بأبناء السماء ويرون أنهم فوق سكان العالم وسكان الصين في التصرف.

وكان الفرنسيون يتفوقون على أوربا ويبدون استحقاقهم للسيطرة عليها ، ومن هنا رأوا أسرتهم تملك إصدار الميثاق للحكم على بني آدم.

وعلى هؤلاء جميعا أن يفكروا في نوعية الحكم الذي أرشد الإسلام إلى محاسنه بقوله تعالى:

{وشارهم في الأمر) [1].

وبقوله: {وأمرهم شورى بينهم) [2].

وهكذا عرفهم بمبدأ الحفاظ على بني الجنس، والتعاون بين أبناء الوطن.

يقال إن برلمان إنجلترا أقدم برلمانات العالم، ولذا يلقب بـ "البرلمان الأم". وأقول إن ذلك صواب، ولكن هو أقدم من أمر القرآن المذكور أيضا؟

إن التاريخ يجيب عليه بلا ثم لا، ولذا يجب الاعتراف بأن جميع الحكومات الديمقراطية بالعالم مدينة للإسلام في هذا الأمر.

كان في العالم سكان آريه ورت الذين رفعوا راية (برهما، وبشن، ومهيش).

والأفلاطونيون الذين آمنوا بحكم الله والعقل الكل والنفس الكل.

وأهل الكنيسة الإنجليزية الذين آمنوا بالإله الأب وبالإله الإبن وبروح القدس.

وأهل الكنيسة الروسية الذين آمنوا بالإله الأب وبالإله الإبن وبالروح.

واليونانيون القدامى الذين آمنوا بالإله الأب وبالإله الابن وبمريم وسموهم الأقانيم.

والآريون الذين آمنوا بقدم (برماتما، وآتما، وبرانو).

إن هؤلاء جميعا كانوا منشغلين بنشر تثليثهم، ولكنهم اليوم يعترفون بسمو عقيدة التوحيد ويفتخرون بها، ويصفون تثليثهم بأنه يؤدي إلى التوحيد، ويستدلون على ذلك. والمسلمون يفرحون بهذا التقدم من إخوانهم في الإنسانية، ويأملون أنهم يعترفون يوما بمعروف الإسلام هذا حبا للخير وإيثارا للعدل، وبعد الوصول إلى هذه الحقيقة يفتحون أذهانهم وقلوبهم للانتفاع من بركات الإسلام والاستنارة بأنواره، فتجد قلوبهم وأرواحهم سعة وفرحا، ثم تقر بهذه الخصيصة للإسلام.

❖❖❖

---

[1] سورة آل عران (٣ / ١٥٩).

[2] سورة الشورى (٤٢ / ٣٨).

شهاداتالمنصفين

أخلاق المسلمين الفاتحين وشهادات المنصفين

معاويةمحمدهيكل

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

يقول الله تبارك وتعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} (الأنبياء: ١٠٧)

فتأمل هذا البيان القرآني الرائع بنوره الشامل الكبير، الذي يشمل المكان كله، فلا يختص بمكان دون مكان، والزمان بأطواره المختلفة وأجياله المتعاقبة، فلا يختص بزمان دون زمان، وكذلك الحالات كلها سلمها وحربها، فلا يختص بحالة دون حالة، والناس أجمعين، مؤمنهم وكافرهم، عربهم وعجمهم ، فلا يختص بفئة دون فئة، ليجعل الإنسان يقف مشدوها متأملا في عظمة الوصف القرآني في رحمة عامة شاملة ، تجلت مظاهرها في كل موقف لرسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه الكون والناس من حوله حتى شهد القاصي والداني والعدو والصديق بعظمة الرسول والرسالة، مما كان له أكبر الأثر في دخول الناس في دين الله أفواجا، فعمت الأرض الرحمة ببركة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويأتي هذا المقال بيانا وتوضيحا لدور المسلمين البناء في نشر رسالة الإسلام في العالمين، وذلك من خلال أخلاقهم، وحسن معاملتهم لغيرهم من اتباع الملل الأخرى، مما جعلهم يدوّنون ويقرون في اعترافاتهم بكل حب ما صنعه المسلمون من سلوك أخلاقي عظيم في العفو والصفح والتسامح.

من مظاهر العفو والتسامح في الإسلام:

لقد كان الخلق الرفيع الذي تعامل به النبي صلى الله عليه وسلم من الحلم والعفو والإحسان إلى الناس من أعظم الأسباب في إجابة دعوته، ودخول الناس في دينه، واجتماع القلوب عليه، ومن أدل الأمثلة على ذلك ما يلي:

١– موقف النبي صلى الله عليه وسلم من ثمامة بن أثال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا قِبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ماذا عندك يا ثمامة؟" فقال: عندي، يا محمد خير، إن تقتل، تقتل ذا دم، وإن تنعم، تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسل، تعط منه ماشئت.

فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بعد الغد فقال: "ما عندك يا ثمامة؟" قال: ما قلت لك، إن تُنعم، تنعم على شاكر، وإن تقتل، تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال، فسل، تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد، فقال: "ماذا عندك يا ثمامة؟" فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم، تنعم على شاكر، وإن تقتل، تقتل ذام دم، وإن كنت تريد المال، فسل، تُعط منه ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: "أطلقوا ثمامة". فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشّره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا، ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا، والله، لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم". (متفق عليه)

قال الحافظ في الفتح: "وفي الحديث تعظيم أمر العفو عن المسيئ، لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبا في ساعة واحدة، لما أسداه النبي صلى الله عليه وسلم من العفو والمن بغير مقابل، وفيه الاغتسال عند الإسلام، وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب، وأن الكافر إذا أراد أن يعمل خيرا ثم أسلم، شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير، وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسرى إذا كان في ذلك مصلحة

للإسلام، ولاسيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه، وفيه بعث السرايا إلى بلاد الكفار، وأسر من وجد منهم، والتخيير بعد ذلك في قتله أو الإبقاء عليه".

وفي فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الفعل الرشيد ألا وهو ربط ثمامة في المسجد من الفقه ما لا يخفى، وذلك –والله أعلم– حتى يستمع ثمامة إلى القرآن الذي يُتلى، ويرى الصلوات وحال المسلمين فيها، وينظر إلى أخلاق المسلمين عن قرب، بعيدا عن النقولات الكاذبة والتشويشات التي يشوش بها أهل الكفر وأهل الإسراف على المسلمين، وكذلك بعيدا عن الأراجيف والشائعات، فإذا رآهم وعرف حقيقتهم ورآهم في صلواتهم، وسمع قول المؤذن: الله أكبر، الله أكبر، وقول المؤذن: لا إله إلا الله، ورأى صفوف المسلمين، ورأى توقير المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما يراه الداخل عليهم والمختلط بهم، فحينئذ يسلم وينشرح صدره للإسلام للصورة الطيبة التي رآها منهم.

٢–وصية النبي صلى الله عليه وسلم للفاتحين وبيان آداب الغزو:

عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين، ثم قال: "اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا (طفلا). (مسلم: ١٧٣١)

قال الإمام النووي: في شرح مسلم "في الحديث فوائد مجمع عليها وهي تحريم الغدر وتحريم الغلول وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا وكراهة المثلة واستحباب وصية الإمام أمراءه وجيوشه بتقوى الله ....".

٣–وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل الذمة خيرا والتحذير من ظلمهم والاعتداء عليهم:

لقد شملت سماحة النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب في كافة المجالات، فقد أوصى بالقبط خيرا وأهل الذمة، فقال صلى الله عليه وسلم: "إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا، فإن لهم ذمة ورحما" (أخرجه الحاكم وصححه الألباني). وقال: "إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما". (رواه مسلم: ٢٥٤٣)، وقال محذرا من العدوان عليهم: "من قتل رجلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة

سبعين عاما" . (صحيح الجامع: ٦٤٤٨) وقال : من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما" (صحيح الجامع: ٦٤٥٧) وقال صلى الله عليه وسلم: "ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة". (أخرجه أبوداود وصححه الألباني: ٣٠٥٢)

٤ – من وصايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأهل الذمة:

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص عامله على مصر: "إن معك أهل ذمة وعهد، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم، وأوصى بالقبط، فقال: استوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما". (أصل الحديث في صحيح مسلم: ٢٥٤٣)

وذكر أبويوسف في كتابه "الخراج" أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بشيخ من أهل الذمة يسأل عند أبواب المساجد بسبب الجزية والحاجة والسن، فقال: ما أنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيعناك في كبرك، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه، ووضع الجزية عنه، وعن ضربائه (أمثاله) .

ولما تدانى أجل عمر بن الخطاب أوصى من بعده وهو على فراش الموت بقوله: "أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا، وأن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم . (كتاب الخراج، يحيى بن آدم: ١ / ٢٠٠)

٥– اعترافات وشهادات المنصفين بعظمة أخلاق المسلمين الفاتحين:

١ – عن العهدة العمرية التي منحها عمر بن الخطاب حماية للمسيحيين قال "نصري سلهب": العهدة العمرية التي منحها ابن الخطاب لأهل بيت المقدس هل تعدلها عهدة في التاريخ نبلا وعدلا وتسامحا؟! : "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل القدس من أمان: أعطاهم أمانا لأنفسهم ولأموالهم ولكنائسهم ...لا يُكرهون على دينهم ولا يُضار أحد منهم". أي خاسر حربا من حروب التاريخ حظي بمثل هذه العهدة من غالب منتصر؟ ... ويبقى المسلمون في الشرق وفي فلسطين بالذات، ثلاث مائة سنة وألفا، فلا يمس فيها للمسيحية أثر، بل تستمر الكنائس في حرمة ومنعة . (لقاء المسيحية والإسلام: ٣٣١)

فرح المسيحيين بالفاتحين المسلمين:

ب – وشهد شاهد من أهلها بعفو المسلمين وتسامحهم فيقول: "توماس أرنولد" في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" ما نصه: "ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبوعبيدة في فحل، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب المسلمين يقولون: "يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كان الروم على ديننا، أنتم أوفى ، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا ومنازلنا" قال: "وغلق أهل مدينة حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم". وبذلك "ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق، فإن الدعوة والإقناع كانا هما الطابعين الرئيسين لحركة الدعوة هذه، وليس القوة والعنف". ا هـ

فاتحون اتصفوا بالعدل والرحمة:

ج – ويقول (غوستاف لوبون) قولته المشهورة: "ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب"، ومما يذكره التاريخ: أن التتار لما غزوا بلاد الإسلام ووقع كثير من المسلمين والنصارى في أسرهم، ثم عادت الغلبة للمسلمين ، ودان ملوكهم بالإسلام، خاطب شيخ الإسلام أمير التتار بإطلاق الأسرى، فسمح له الأمير التتاري بفك أسرى المسلمين، وأبى أن يسمح بأهل الذمة، فقال شيخ الإسلام: "لابد من فك الأسرى من اليهود والنصارى، لأنهم أهل ذمتنا فأطلقهم له". (حرية الاعتقاد: ناصح علوان)

فاتحون لا يعرفون العنف ولا الإرهاب:

د – يقول المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" وهو يتحدث عن سر انتشار الإسلام في عهده صلى الله عليه وسلم وفي عصور الفتوحات من بعده: "أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة، ولم ينتشر الإسلام إذن بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبأخلاق المسلمين اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخرا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند التي لم يكن العرب فيها الا عابري سبيل، ما زاد عدد المسلمين أضعاف ما كان عليه، ولم يكن الإسلام أقل انتشارا في الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط".

قال جواهر لال نهرو: إن العرب كانوا في بداية يقظتهم متقدين حماسا لعقيدتهم، وإنهم كانوا مع ذلك قوما متسامحين، لأن دينهم يأمرهم بالتسامح

والصفح، وكان عمر بن الخطاب شديد الحرص على التسامح عندما دخل بيت المقدس، أما مسلمو إسبانيا فإنهم تركوا للجالية المسيحية الكبيرة هناك حرية العبادة، والواقع أبرز ما يميز هذه الفترة من التاريخ هو الفرق الشاسع بين العرب المسلمين وتعصب النصارى الأوروبيين . (قالوا عن الاسلام: ٣١٨)

لا إكراه في الدين شعار المسلمين الفاتحين:

١ – قال توماس أرنولد: لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي، بل إن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل في طياته الدليل القوي على ما كانت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من تسامح نحوهم". (الدعوة للإسلام ص ٩٨)

٢– وتقول زغريد هونكه المستشرقة الألمانية:

" لا إكراه في الدين" هذا ما أمره به القرآن، وبناء على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام ، أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها ، سمح لهم جميعا دون أي عائق يمنعهم من ممارسة شعائر دينهم، وترك لهم المسلمون بيوت عبادتهم وأديرتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أوليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فظائع الأسبان واضطهادات اليهود؟!

(إن السادة والحكام المسلمين لم يزجوا بأنفسهم في شئون تلك الشعوب الداخلية، وبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع الميلادي لأخيه بطريرك القسطنطينية عن المسلمين العرب: "إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا ألبتة، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف"). (شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٦٤)

صور من العفو والتسامح عند الفاتحين:

١ – قال أرنولد تونبي وهو من كبار المستشرقين البريطانيين: ثمة حالة نابهة الذكر ... هذا التسامح المنشود، الذي فرضه النبي صلى الله عليه وسلم على أتباعه وهو في موضعه الجليل، فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد أمر أتباعه بالتسامح الديني تجاه اليهود والمسيحيين الذين خضعوا سياسيا للحكم الإسلامي، فقدم

محمد صلى الله عليه وسلم بذلك لقاعدة التسامح تفسيرا قوامه أن أفرادها من الجماعتين الدينيتين غير المسلمين هم أهل كتاب كالمسلمين أنفسهم، وليس أدل على روح التسامح التي بعثت الحياة في الإسلام منذ بدايته، من أن المسلمين قد طبقوا مبدأ التسامح الديني على أتباع زرادشت الذين خضعوا للحكم الإسلامي، وإن لم يقل بذلك الرسول الكريم نفسه. (مختصر دراسة التاريخ: ٣ / ٧٣)

ب – قال الدوميلي (المستشرق الفرنسي): إن التسامح العظيم الذي تحلى به الخلفاء الأمويون وملوك الطوائف لم يمتد لواؤه على ما حكموه من شعوب، أو على المسلمين القادمين من إفريقية والمشرق فحسب، بل انبسط ظله على النصارى الذين أقبلوا مهطعين من أبعد الأقطار لتلقي العلوم في المدن المزدهرة التي لا تُحصى، في ذلك القطر الساحر (الأندلس) الآخذ بمجامع الألباب. (العلم عند العرب ص ٤٥٤)

ج – قالت إيفيلين كوبلد: "لما استرجع صلاح الدين بيت المقدس بعد معارك عديدة وطرد الصليبيين من البلاد أظهر في حروبه ومعاركه كل ألوان الرفق والرحمة والعفو عند المقدرة ... وأبى أن يعامل المغلوبين إلا بالحسنى والرفق، ورفض الانتقام من الذين أساءوا وأحرقوا ودمروا، وزاد إحسانا فسمح لجميع المسيحيين بمغادرة المدينة تحت رعاية رجاله ومحافظة قواده، وقد حفظ له كثير من كتاب الغرب هذه الصفات ولم يتأخروا عن المجاهرة بها والإقرار بأنه كان أشرف الأعداء وأطهر الفاتحين . (البحث عن الله: ص ٩٣)

شتان بين أخلاق وأخلاق:

وهكذا بان لنا واتضح كيف تعامل المسلمون الفاتحون مع غيرهم من أتباع الملل الأخرى من غير المسلمين، وكيف أقر واعترف الغرب بذلك، فانظروا ماذا فعل غير المسلمين عندما تمكنوا من المسلمين.

إن مما أجمع عليه المؤرخون أن الصليبيين ذبحوا في يوم واحد في الحرب الصليبية الأولى سبعين ألف مسلم تذبيح النعاج، حتى إن الدماء كانت تجري أنهارا في المسجد الأقصى وشوارع الأقصى ، فلم يرقبوا في مؤمن إلا ولا ذمة، ولم يرحموا كبيرا ولا صغيرا، ولم يحترموا امرأة، ولا طفلا، ولم يوقروا عالما، ولا شيخا، على حين عامل السلطان صلاح الدين الصليبيين أحسن معاملة، وأكرمهم أسمى كرم حين حرر بيت المقدس من اعتدائهم الأثيم، فما أراق دما، ولا انتهك حرمة ، ولا

نقض عهدا، بل ظلت الكنائس والمعابد أمانة في يديه، وفي يد من جاء من بعده يحسنون إليها، ويحافظون عليها، إلى أن دخل جيوش الحلفاء بيت المقدس في الحرب العالمية الأولى، وقال القائد الإنجليزي "اللنبي": الآن انتهت الحروب الصليبية، وقد فعلوا ما فعلوا باسم الصليب، وتحت رايته، وصدق فيهم قول الله : {قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر}. (آل عمران: ١١٨)

وجاء في كتاب "العلاقات السياسية الدولية": "في الأندلس لقي المسلمون أشد العذاب، وأبشع الظلم من محاكم التفتيش التي كانت تأمر بتنصير المسلمين كرها، ثم بحرق الكثير منهم، ونصح "كردينال" طليطلة الذي كان رئيسا لمحاكم التفتيش بقطع رءوس جميع من لم يتنصر من العرب، رجالا، ونساء، وشيوخا وولدانا.

وأراد "شارلمان" أن يستأصل شافة الإسلام تأييدا لهيبة الكنيسة، وأن يسحق دولة الأندلس المستقلة احتفاظا بكبرياء الفتح والظفر، وعقد مسلمو غرناطة معاهدة التسليم والأمان من الملكين الكاثوليكيين "فرديناند" و "إيزابيلا" اللذين نكثا بالعهود والمواثيق، فكبلا ثلاثة ملايين من المسلمين بالأغلال، وأعمل الكاثوليك في رقابهم السيف، تنكيلا وانتقاما..

ونختم بما قاله أحمد سوسه (أحد الرجال اليهود الذين أعلنوا إسلامهم): "يُستحسن بأتباع موسى وعيسى أن يراجعوا التاريخ الإسلامي ليقفوا على ما يأمر به الإسلام بشأن الرفق بالأطفال والشيوخ والنساء وغير المقاتلين بصورة عامة، ويثبت لنا التاريخ أن المسلمين صاروا وفق شريعتهم القاضية بوجوب عدم المساس بالأطفال والشيوخ والنساء بكل أمانة وحرص حتى في الظروف التي كان العدو المقابل يقتل الأطفال والنساء وغير المحاربين". (في طريقي إلى الإسلام ص ٩٤)

وكل ذلك يأتي بمثابة الرد القاطع على كل من يشوش على الإسلام والمسلمين أو يصفهم بما ليس فيهم، فهم بفضل الله لا يلتفتون ولا يعبأون بمثل هذه الأراجيف، بل هم على طريق الحق ماضون وبأصول دينهم مستمسكون، حتى قال عنهم المنصفون ما عرف التاريخ أرحم ولا أعدل من المسلمين.

والله من وراء القصد.

❖❖❖

عن الجامعة السلفية ومؤتمرها العالمي

بمناسبة انعقاد المؤتمر العالمي في الجامعة السلفية حول موضوع: "**السنة النبوية والسلام العالمي**" في يومي السبت والأحد: ٣ – ٤ / جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ = ١٦ – ١٧ / مارس ٢٠١٣ م نشرنا في هذا العدد المزدوج البحوث والمقالات ذات الصلة بالموضوع. وبهذه المناسبة يطيب لنا أن نضم هذا العدد بعض المعلومات اللازمة عن الجامعة السلفية وإنجازاتها. وتشتمل على هذه المعلومات على ما يلي:

- الجامعة السلفية: نصف قرن من العطاء والإنجاز
- ندوات ومؤتمرات عقدتها الجامعة السلفية
- موضوعات الندوة العلمية حول موضوع: السنة النبوية والسلام العالمي
- برنامج المؤتمر
- برنامج الندوة العلمية
- لمحة عن مدينة بنارس

الجامعة السلفية والمؤتمر العالمي:

الجامعة السلفية

نصف قرن من العطاء والإنجاز

وضع حجر الأساس للجامعة في ١١ / رجب عام ١٣٨٣ هـ = ٢٩ / نوفمبر ١٩٦٣م، وبدأت الدراسة فيها في ذي القعدة ١٣٨٥ هـ = مارس ١٩٦٦م. ومن ذلك الوقت هي ماضية في سبيل التعليم والتربية والدعوة والإرشاد والترجمة والتأليف عبر أقسامها وإداراتها المختلفة. وقد تمكنت – بفضل الله وتوفيقه – من إنجاز عديد من الأعمال العلمية والتربوية، لفتت أنظار الغيورين والمخلصين من الداخل والخارج. فقد خرجت آلاف الدعاة والمدرسين والباحثين يشغلون مناصب كبيرة، ويؤدون مسؤوليات جسيمة في المعاهد والجامعات، وفي إدارات البحث والتحقيق، وفي مراكز الدعوة والإرشاد، في داخل دولة الهند، وفي الدول بل والقارات الأخرى أيضا. وقد أنشأت **إدارة البحوث الإسلامية** تلبية لحاجة العصر إلى الأدب الصالح الهادف والمؤلفات النافعة التي تساعد الأمة في التمسك بالدين والقيم الخلقية. وقد أصدر هذا القسم أكثر من (٤٠٠) كتاب، باللغات: العربية والأردية والهندية والإنجليزية، وقد نالت هذه الإصدارات قبولا واسعا وانتشارا عاما في الأوساط العلمية في الداخل والخارج، وسدت فراغا كبيرا في المكتبة الإسلامية والأدبية. ويقوم هذا القسم أيضا بإصدار مجلتين شهريتين بانتظام، إحداهما باللغة العربية، وهي تعرف بـ "**صوت الأمة**" التي تصدر منذ عام ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩م والثانية باللغة الأردية، وهي تعرف بـ "**محدث**" وهي تصدر منذ عام ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م. وقد عقدت الجامعة نحو (١٥) **مؤتمرا وندوة علمية** عالمية ومحلية حول موضوعات دعوية وتعليمية وتربوية، شارك فيها مئات الشخصيات البارزة من داخل البلاد وخارجها، وساهمت ببحوثها القيمة ومقالاتها النافعة ومحاضراتها المفيدة، لعبت

دورها في نشر الدعوة وبث الوعي الديني في المسلمين، وتنظيم التعليم الديني والعربي بين أبناء المسلمين، وتشجيع العاملين في مجالات البحث والتحقيق والترجمة والتأليف.

وهناك أقسام أخرى عديدة وشعب مختلفة ولجان متنوعة تمارس الجامعة بواسطتها أعمالها العلمية والدعوية المتعددة، مثل **قسم الدعوة والإرشاد**، **وقسم الإفتاء**، **وقسم توزيع الكتب**، **والمكتبة المركزية**، **وندوة الطلبة**، **والمطبعة السلفية**، **والمكتبة السلفية التجارية**، **ومدرسة المنار العصرية للبنين**، **وكلية أمهات المؤمنين للبنات** الخ.

يجدر بالذكر أن الجامعة السلفية أنشأت قسما خاصا **لإلحاق المدارس**، وهناك نحو (٢٥) مدرسة ثانوية تتبع الجامعة – عبر هذا القسم – في الأنظمة التعليمية والمناهج الدراسية.

وتنتمي هذه المدارس إلى ولايات مختلفة من طول البلاد وعرضها، ويواصل طلابها دراستهم بالجامعة إثر اجتياز مرحلة الثانوية بنجاح. وهذا القسم قد أسهم في توسيع دائرة عمل الجامعة وتحقيق أهدافها وآمالها على صعيد أكبر.

ويقيم في **القسم الداخلي** للجامعة نحو (٧٠٠) طالب من مختلف ولايات ومناطق الهند ونيبال، توفر لهم الجامعة الكتب الدراسية والسكن والغذاء مجانا، وتهيئ لهم جوا ملائما للدراسة والمذاكرة والكتابة والخطابة بفراغ وطمانينة، وتعتبر مصاريف تغذية الطلاب أعلى وأكبر في الميزانية من المصاريف الأخرى.

وفي الأشهر الماضية نفذت الجامعة **أكبر مشروع لصيانة مباني الجامعة** ومرافقها بعد التأسيس، وهذا المشروع الكبير استهلك نفقة باهظة، ثم هناك **مشروع بنائي كبير** لمبنى مرحلتي المتوسطة والثانوية، وعمل البناء مستمر منذ أكثر من سنة، يقع هذا المبنى على بعد نحو نصف كيلو متر من مبنى الجامعة الرئيسي، وسوف يستكمل البناء بمشيئة الله تعالى خلال عدة أشهر.

والجامعة السلفية لا تملك موردا ثابتا يكفي لسد نفقاتها، كما أنها لا تقبل أي مساعدة من الحكومة، بل إنها تعتمد بعد الله عز وجل على المساعدات والتبرعات التي

تحصل عليها من الشعب المسلم المخلص الغيور على دينه في داخل البلاد وخارجها. وعلى هذا النحو أمضت نحو نصف قرن، وأنجزت ما قدر لها. فجزى الله جميع أولئك الذين ظلوا يمدون يد العون والمساعدة إليها ويشجعون القائمين عليها للمضي قدما في سبيل خدمة العلم والدين وتثقيف الجيل المسلم وبناء الإنسان الصالح، والرجاء أن هذه العناية والتشجيع سيستمران إن شاء الله، وتواصل الجامعة عملها بتوفيق من الله جل وعلا، ثم بتشجيع ودعم من أولئك المخلصين. والله لا يضيع أجر المحسنين.

موقع

الجامعة السلفية

(مركزي دار العلوم)

بنارس-الهند

على الانترنت

http://www.aljamiatussalafiah.org

http://www.jsvaranasi.com

Jamia Salafia Varanasi

البريد الالكتروني

للجامعة السلفية (مركزي دار العلوم) بنارس

jamia@aljamiatussalafiah.org

jamia@jsvaranasi.com

الجامعة السلفية:

مؤتمرات وندوات عقدتها الجامعة السلفية

المسلسل	الموضوع	تاريخ الانعقاد الهجري	تاريخ الانعقاد الميلادي
١	المؤتمر الأول العام بمناسبة وضع الحجر الأساسي للجامعة	١٢ / رجب ١٣٨٣هـ	٢٩ / نوفمبر ١٩٦٣م
٢	المؤتمر الثاني العام بمناسبة افتتاح التعليم في الجامعة	٢٧ – ٢٨ / ذوالقعدة ١٣٨٥ هـ	٢١ – ٢٢ / مارس ١٩٦٦ م
٣	أول حفلة توزيع الشهادات	١٩ – ٢٠ / شعبان ١٣٨٩ هـ	٣١ / أكتوبر ١/نوفمبر ١٩٦٩ م
٤	مؤتمر الدعوة والتعليم	٥ – ٧ / ربيع الآخر ١٤٠٠ هـ	٢٢ – ٢٤/ فبراير ١٩٨٠ م
٥	الموسم الثقافي الأول	٢٠ – ٢٩ / ربيع الآخر ١٤٠١ هـ	٢٦ / فبراير – ٧ / مارس ١٩٨١م
٦	مؤتمر مساهمة المسلمين الهنود في العلوم الإسلامية	٢٣ – ٢٤ / رجب ١٤٠٦ هـ	٤ – ٥ / ابريل ١٩٨٦ م
٧	حفل توزيع الشهادات	٢٥ / رجب ١٤٠٦هـ	٦ / ابريل ١٩٨٦ م
٨	الندوة العالمية عن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية وأعماله الخالدة	٢٩ / ربيع الأول ١، ٢ / ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ	٢٢ – ٢٤ / نوفمبر ١٩٨٧ م
٩	مؤتمر السيرة النبوية العطرة	١٨ – ١٩ / ربيع الآخر ١٤١٢ هـ	٢٧ – ٢٨ / أكتوبر ١٩٩١ م
١٠	الندوة العلمية عن الصحافة الإسلامية	٦ – ٧ / جمادى الأولى ١٤١٣ هـ	٢ – ٣/ نوفمبر ١٩٩٢م
١١	الندوة العالمية عن حياة العلامة النواب صديق حسن خان وأعماله الخالدة	٣٠ / ربيع الأول وغرة ربيع الآخر ١٤٢٧ هـ	٢٩ – ٣٠ / ابريل ٢٠٠٦م
١٢	مؤتمر السنة النبوية والسلام العالمي	٣ – ٤ / جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ	١٦ – ١٧ / مارس ٢٠١٣م

البرامج المقترحة للمؤتمر العالمي

حول موضوع

"السنة النبوية والسلام العالمي"

المزمع عقده بالجامعة السلفية (مركزي دار العلوم) بنارس، الهند

في الفترة: ٣-٤/جمادى الأولى ١٤٣٤هـ = ١٦-١٧/مارس ٢٠١٣م، يوم السبت والأحد

الجلسة الأولى (يوم السبت صباحا) افتتاح المؤتمر

يوم السبت: ٣/جمادى الأولى ١٤٣٤هـ = ١٦/مارس ٢٠١٣م، الساعة: ٩:٣٠ صباحا إلى ١٢:٣٠ ظهرا

الجلسة الثانية (يوم السبت مساء)

يوم السبت: ٣/جمادى الأولى ١٤٣٤هـ = ١٦/مارس ٢٠١٣م، **بعد صلاة المغرب**

كلمات المندوبين ومحاضرات الدعاة والعلماء حول موضوع المؤتمر

الجلسة الثالثة (يوم الأحد صباحا)

يوم الأحد: ٤/جمادى الأولى ١٤٣٤هـ = ١٧/مارس ٢٠١٣م، الساعة: ٩:٣٠ صباحا إلى ١٢:٣٠ ظهرا

الموضوع: الديانات المختلفة والتسامح الديني

كلمات المشاركين من الديانات والفرق المختلفة

الجلسة الرابعة (يوم الأحد مساء)

يوم الأحد: ٤/جمادى الأولى ١٤٣٤هـ = ١٧/مارس ٢٠١٣م، بعد صلاة العصر إلى المغرب

الموضوع: المدارس الإسلامية والسلام العالمي

كلمات مندوبي المدارس والجامعات والصحفيين

الجلسة الأخيرة: (يوم الأحد مساء)

يوم الأحد: ٤/جمادى الأولى ١٤٣٤هـ = ١٧/مارس ٢٠١٣م، بعد صلاة المغرب إلى الساعة العاشرة ليلا

محاضرات العلماء والدعاة وانطباعات الضيوف

الاقتراحات والتوصيات وإعلان ختام المؤتمر

برنامج الندوة العلمية وعرض ملخصات البحوث

الجلسة الأولى: **يوم السبت: ١٦ / مارس ٢٠١٣ م** **بعد صلاة العصر إلى أذان المغرب**

الجلسة الثانية: **يوم السبت : ١٦ / مارس ٢٠١٣ م** **بعد صلاة المغرب إلى أذان العشاء**

الجلسة الثالثة: **يوم الأحد: ١٧ / مارس ٢٠١٣ م** **الساعة: ٠٠ : ٧ إلى الساعة: ٠٠ : ١٠ صباحا**

الجلسة الرابعة: **يوم الأحد: ١٧ / مارس ٢٠١٣ م** **الساعة: ٣٠ : ١٠ / صباحا إلى الساعة: ٣٠ : ١٢ ظهرا**

الجلسة الخامسة: **يوم الأحد: ١٧ / مارس ٢٠١٣ م** **بعد صلاة العصر إلى أذان المغرب**

موضوعات الندوة العلمية

حول موضوع: السنة النبوية والسلام العالمي

١	السنة: مدلولها وحجيتها
٢	تدوين السنة النبوية وتطوره
٣	نظرة على إنكار الحديث
٤	نظرة على الإيمان باليوم الآخر
٥	التوحيد والسلام العالمي
٦	السنة النبوية وحقوق الإنسان
٧	خطبة حجة الوداع : الميثاق الإسلامي لحقوق الإنسان
٨	حقوق غير المسلمين في ضوء الأحاديث النبوية
٩	حركات تحرير المرأة في العصر الحاضر وموقف الإسلام منها
١٠	غزوة فتح مكة: رسالة نبوية للسلام العالمي
١١	صلح الحديبية: نتائج وعبر
١٢	وثيقة المعاهدة مع اليهود والسلام العالمي
١٣	رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأمراء المسلمين: استعراض واستنتاج
١٤	أخلاقيات الحرب في ضوء الأحاديث النبوية
١٥	النظام النبوي للتربية والتعليم وآثاره على السلام العالمي
١٦	مظاهر التطرف وموقف السنة منها

لمحة عن مدينة بنارس

- من أقدم مدن العالم، يقال إنها حظيت بالعمران عقب طوفان نوح، تسمى بتوأم دمشق لكونها عريقة في القدم.
- واقعة على الضفة الغربية من نهر "غانج" بشكل هلالي، وفي جانبها الشمالي نهر "برنا" وفي جانبها الجنوبي مسيل "أسي" يصبان في نهر "غانج" ولأجلها سميت المدينة باسم "برناأسي" ثم تحول الاسم إلى "وارانسي" ثم إلى "بنارس". واستقر الآن اسمها رسميا "وارانسي".
- احتلها قبل الميلاد باثني عشر قرنا تقريبا قبيلة "كاشي" من أقوى سلالات الآريين، واتخذتها عاصمة لدولتها الوليدة، فسميت المدينة بنفس اسم القبيلة – كاشي – ولا تزال معروفة به.
- هي محج كبير في الديانة الهندوكية، وفيها معابد كبيرة وكثيرة للهنادك، يفدون إليها من كل صوب، ويقدمون أغلى النذور من الذهب والفضة، والأمتعة المزخرفة، والأرزاق الطيبة.
- لها أهمية بالغة عند البوذيين، فمن هنا بدأ زعيمهم الأول "جوتم بوذا" دعوته الدينية في أواخر القرن السادس قبل الميلاد. وأول خطبة ألقاها بوذا كانت على قطعة من أرض هذه المدينة تعرف باسم "سارناته" وفيها هيكل بوذي من أهم الهياكل في العالم، ومآثر أخرى عديدة وعجيبة صارت مركزا مهما من مراكز السياحة الهندية.
- دانت للمسلمين أول مرة في عهد مسعود الغزنوي على يد قائده أحمد نيالتكين وأدى إليه الخراج سنة ٤٣٤ هـ. ثم فتحها شهاب الدين الغوري وضمها إلى حكومته المسلمة في دلهي سنة ٥٩١ هـ ثم لم تزل تحت سيطرة المسلمين حتى سلبها منهم الانجليز سنة ١٨٥٧ م.

- خلف المسلمون فيها مآثر عديدة: مساجد شامخة، مثل مسجد "دونيم كنكره" أي ذو المنارتين ونصف، وهو أول مسجد أسس سنة ٤٠٥هـ، ومثل مسجد "غيان باپي" – وسط معابد الهنادك – ومسجد "لات بهيرو" – في وسطه معبد هندوكي – ومسجد دهرهره" كانت له منارتان تناطحان السحاب.
- نزلها إمام الدعوة الإسلامية الكبرى السيد أحمد الشهيد سنة ١٢٣٥ هـ لأول مرة.ثم نزلها ثانيا مع زميله في الدعوة الإمام الشاه إسماعيل الشهيد في أواخر سنة ١٢٣٦ هـ ذاهبين إلى مكة للحج، وكان لهما أثر كبير في توجيه المسلمين إلى الصراط المستقيم.
- نزلها أيضا الإمام ولاية علي العظيم آبادي والنواب صديق حسن خان وغيرهما من أئمة الدعوة، وهي موطن المحدث الكبير الشيخ عبد الحق بن فضل الله تلميذ الإمام الشوكاني.
- توجد في جانبها الجنوبي جامعة بنارس الهندوكية – من أكبر الجامعات في آسيا – كما توجد جامعة "كاشي وديا بيتهـ" والجامعة السنسكريتية في هذه المدينة.
- تأسست فيها الجامعة السلفية سنة ١٣٨٣ هـ، وهي من أهم المؤسسات العلمية في الهند وأبرزها، كما توجد فيها كثير من المعاهد والمدارس الإسلامية.
- وهي من أكبر مراكز العالم للمنسوجات الحريرية المطرزة بالذهب والفضة، وهذه الصناعة بأيدي المسلمين.
- زارها المغفور له – بإذن الله – الملك سعود بن عبد العزيز سنة ١٩٥٥ م. ومن الطرائف أن معابد الأصنام في هذه المدينة قد ألقيت عليها الستور السوداء احتراما لهذا الملك الموحد. وقد نظم هذا المعنى شاعر بالأردو فقال:

ادنی سا غلام ان کا گزرا تھا بنارس سے

منہ اپنا چھپاتے تھے کاشی کے صنم خانے

(كان فرد من أفراد أمة محمد ﷺ قد مر بمدينة بنارس، فكانت معابدها الوثنية تستر وجوهها خجلا).

❖❖❖